تَأَمُّلَات

في السُوَر والآيات

تأليف

احمد عبدالعزيز قشوع



الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ

المملكة العربية السعودية - جدة

احمد عبدالعزيز قشوع ، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قشوع ، احمد عبدالعزيز الشيخ محمد
تأملات في السور والآيات. /احمد عبدالعزيزالشيخ محمد
قشوع - جدة ، ١٤٤٠ هـ
١٦٩ ص ؛..سم

ردمك ٤-٠٦٧٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - مباحث عامة أ.العنوان
ديوي ٢٢٩ ١٤٤٠/٨١٤٦

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٨١٤٦
ردمك: ٤-٠٦٧٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

المقـــــدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله[1]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[3].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[4].

وبعد،

فبدايةً علينا أن نفهم ونعي أن القرآن الكريم أُنزل رحمةً للعالمين، بمعنى أنه لم ينزل لطائفة معينة، ولكن للجميع، يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ

---

(١) خطبة الحاجة للإمام الألباني يرحمه الله ص (٦).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

(٣) سورة النساء الآية (١).

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان (٧٠،٧١).

﴿ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾[١] يقول الإمام ابن كثير يرحمه الله: (مخاطباً جميع الناس)[٢]، فلفظ الناس هو من الألفاظ العامة في القرآن الكريم في الأصل.

إن هذا الكتاب الذي بين يديك محاولة لتسليط الضوء على بعض الفوائد المستنبطة من آيات كتاب الله الحكيم، وجدتها بعد تدبر وتفكر من مجتهد مقصر، ولكنه أحب القرآن...

والهدف من تأليفه وكأنه درس يتعلم فيه لمعنى التدبر وكيفية الوصول لهذه المرحلة، أكثر من أنه كتاب يسترسل لكثير من الفوائد.

وجعلت أكبر همي أن أسلط الضوء على علم المناسبات[٣] بين السور والآيات، وأن يكون هذا الربط واضحًا جليًّا للقارئ مفهومًا له، متوسعًا فيه...فلماذا؟ هذه الآية جاءت بعد تلك، ولماذا الآية تلك أتت بعد الآية التي سبقتها؟

وسبب اهتمامي بهذا العلم، لأنه يعطي انطباعًا للمتدبر ـ ولا أقول للقارئ ـ لتسلسل مواضيع القرآن الكريم،

---

(١) سورة النساء

(٢) تفسيره (٢/٤٨١).

(٣) علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن،(نظم الدرر للبقاعي ١/٦).

وترابط آياته، مما يجعل الإنسان يتشوق لدراسته، وتتبع مناسباته، والاجتهاد في معرفة معنى الآيات، فيزداد حبه لهذا الكتاب العظيم، فيكون لديه الشغف لمعرفة المزيد، بل ولا يسأم من ذلك بتاتًا، مصداقًا لقوله ﷺ في دعائه: (أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري) [١].

وكتاب الله جميعه كأنه آية واحدة هي شريعة الله[٢] من التصاقه ببعضه، والقراءة العادية ـ مع أهميتها ـ لا توصل للهدف المنشود، وقد اهتم السابقون جل الاهتمام بعلم المناسبات، وألفوا فيه المؤلفات؛ قال بعضهم عنه: إنَّ حَقًّا على الْمُفَسّر أَن يتطلب مناسبات لمواقع الْآيَات، مَا وجد إِلَى ذَلِك سَبِيلًا [٣].

ويقول الرازي يرحمه الله: (إني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منبهين لهذه الأسرار)[٤].
ويقول أيضًا: أكثر لطائف القرآن مودَعة في الترتيبات والروابط[٥].

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للأرناؤوط (٣/٢٥٣).
(٢) انظر كتاب التفسير القرآني للقرآن المؤلف: عبدالكريم يونس الخطيب
(٣) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (١/٨١)، وانظر البرهان (١/٣٥)، والإتقان (٢/١٣٨).
(٤) التفسير الكبير (٧/١٠٦).
(٥) التفسير الكبير (١٠/١١٠).

وقال الزركشي: واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول[1].

وقال البقاعي مبينًا فائدة جليلة من فوائد معرفة هذا العلم: "وبهذا العلم: يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب"[2].

ولا أحدثكم عن كم السعادة والفائدة التي جنيتها بتدبر كتاب الله، ويا لها من تجربة فريدة ونادرة، راجيًا من الله أن يكون لكل مسلم نصيب منها.

وما أجمل ذلك الشعور الذي أشعر به وهو أنه العظيم الكريم الرحمن الرحيم منزل القرآن عندما نعلم أنه لا يحرمنا من هذا الكتاب العظيم بتقصيرنا ومعاصينا وبُعدنا، بل وييسر لنا قراءته ودراسته فله الحمد والمنة، فأبوابه مفتوحة للسائلين.

واستقيت منهجي ممن سبقني من أهل العلم والمعرفة من قواعدهم وفوائدهم.

---

(١) البرهان (١/٣٥).

(٢) نظم الدرر (١/٨).

ومن الطرق التي سلطت عليها الضوء في هذا الكتاب طريقة التدبر في المسألة المشار إليها، فما هي الفوائد التي سوف تستنبط من المشار إليه في الآيات؟، وفي نفس الوقت ما هي الفوائد التي تستنبط من توجيه الخطاب للقارئ أو السامع (المخاطب)؟ فإن شأن التدبر كبير، وقواعده كثيرة في كتاب الله العظيم، وبينَّا هذا في الوقف على قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه)، وما قبله في فوائد من البسملة في بداية الكتاب.

والوقفات التي في مؤلفي هذا، عبارة عن لطائف قصيرة وخفيفة، إلا في بعض المواضع، فآثرت فيها البسط والتوسع لأهميتها ولندرة الفائدة فيها.

وتدبر القرآن متشعب جدًّا، ولا يظن الظان أن آيات الكافرين هي للكافرين فقط، وآيات المنافقين هي للمنافقين فقط، بل إن المؤمنين معنيون ببعض الآيات حتى تكون لهم تحذيرًا وتنبيهًا، والنظر في عبر من كان قبلهم.

وهناك ما لفت نظري وانتباهي ألا وهو موضوع الرؤية القلبية في سورة البقرة فاستطردت فيه أتأمل سِيَّمَا أنني لم أجد من يتكلم عنه من قبل كما ذكرته ـ ولا أدعي الكمال ـ ولكن هي نظرة

متأمل في كتاب الله فأفردت له فصلًا لعله يفي ببعض ما أريد.. ولعله نقطة انطلاقة لدارس آخر يفتح الله عليه ما لم يفتح لعباده من قبل، فسبحانه له الفضل والمنة.

وسوف تلاحظ ـ أخي القارئ ـ في هذا الكتاب الذي أسأل الله أن يجعله مباركًا أنني قد أطلتُ في شرح المقدمات للسور والرابط بين الفاتحة والبقرة وليس هذا في باقي فصوله.

وكوني آتي بالجديد في مؤلفاتي لا يعني هذا أنني لا أقنع برأي علماء التفسير الأجلاء، ولكن لدي قناعة قوية أنه كان لديهم الكثير الذي أرادوا كتابته والإبحار فيه لكن الأعمار تفنى ولا تفنى الفوائد من كتاب الله العلي العظيم سبحانه، وقناعة مني بأن المفسرين الأوائل لولا الله ثم هم لما توصلنا لأقل الفوائد، ولكن لعلهم كثفوا جهدهم للتأسيس والتأصيل، وبالكاد يكفي العمر لمثل هذا، وها هم رحلوا عن الدنيا وهم ما زالوا يتمنون أنهم بذلوا أكثر من جهدهم، هذا رغم أنهم لا يستطيعون، وهذ معروف عن السلف يرحمهم الله، قال عبدالرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا [1].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/٤٤٧).

ولا أفسر كل آية؛ فتجدني أقف بعض الوقفات التي فتح الله عليَّ بها بفضله ومنه وكرمه.

وإن محاولتي لمعرفة معنى أو تفسير آية لا يعني هذا أنني انتهيت من تفسيرها ومعرفة كيانها، ولكن لعلي اقتربت أكثر من معناها لأن القرآن لا تنفد معانيه...

لماذا كل هذا؟

الراحة والانبساط، مما يحصل للبعض عندما ينتقل من مكان لآخر أو من بلد لآخر يظن أنه غادر من عالمه إلى عالم آخر.

وهذا الأمر غير صحيح وترجمة ما حصل آنفًا، هو أنك انتقلت من مكان إلى آخر في نفس العالم الذي تعيش فيه، عالم الحياة والواقع، بينما أن الراحة والسعادة الحقيقية هي ليست في عالمنا إطلاقًا فهذه الحياة جبلت على الكدر مهما حصل.

إن خروجك الحقيقي من هذا العالم هو الراحة الحقيقة...

كيف أخرج من هذا العالم ؟

هناك عوالم كثيرة[١] حولنا... منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ عالم القرآن؛ فالقرآن كتاب منزل من السماء، فهو

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/١٣٣).

منزل من عالم آخر ليس من عالمنا عالم الأرض... لذلك إذا عشنا مع القرآن ندخل في عالمه ونخرج من عالمنا حقيقة... فإذا تدبرناه وكأننا لا ندرك ما حولنا لأننا أصبحنا في عالمه.

وأذكِّر إخواني وأحبابي القراء الكرام بأن كتاب الله هو الكتاب الوحيد الذي سيكون معنا في الآخرة من الكتب التي كانت معنا في الدنيا: (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)[١].

وكلما حاولت أن أُشبع الموضوع من أكثر من جانب لا أستطيع فأعجز عجزًا شديدًا لأن كتاب الله لا تنتهي عجائبه، فالوقوف مع الآيات على ما يتطلب من علم له علاقة وطيدة بالفتح الرباني النابع من التأصيل الصحيح على منهج النبوة، وهناك أمور كثيرة في الوحي مهما درسناها وفكرنا فيها سيكون فيها جانب خفي عنا، وهذا من خصائص شريعتنا السمحة.

وكما تجدون أن المفسرين في أحايين كثيرة يسرد أحدهم أكثر ممن سبقه في تفصيل الآيات، وهكذا، وكل هذا

(١) مسند الإمام أحمد، شعيب الأرناؤوط يرحمهما الله (١١/٤٤).

حتى نتيقن أن تفسير القرآن يحتاج للنظرة الروحية مع العلمية، وليست العلمية فقط، فكم من مفسرٍ كان في كلامه نفحات إيمانية من الصعب قياسها على علمٍ نظري، إلا أنه كان لديه من التجليات والإيمانيات مما فتح الله به عليه.

الفصل الأول
بين البسملة وفاتحة الكتاب

البسملة
أول آية في القرآن الكريم

ومن معانيها: أنه إيمانًا منا أن القرآن من عند الله وهو كلامه جل وعلا فنقول بسم الله بمعنى: (بسم) الذي أنزل هذا القرآن وهو الله جل جلاله.

وفي الجاهلية كانوا يكثرون من قول (بسم اللات)، و(بسم العُزَّى)، فجاء القرآن الكريم ردًّا عليهم فبدأ ببسم الله (١)، فكثير من آيات القرآن هي رد على ما كان يفعله المشركون مما يخالف شرع الله.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/١٠٤).

وبسم الله ؛ فيها من الفوائد الكثيرة منها ما هو للمخاطب (الجميع)، ومنها ما يكون للمسمى به وهو (الله) سبحانه وتعالى، والمخاطب فيها ماهو للمؤمنين، ومنها ما يكون للكافرين؛ فمثال استخدامها للرد على الكفار: بمعنى كما أنكم كنتم تسمون باللات والعزى، فالله ﷻ يوجه عباده أن يسموا به وهي تحدٍّ لهم، وإظهار لمخالفتهم لشرعه، وأن الله هو المعبود، وآلهتهم باطلة وكذلك إثباتاً للشيء الصحيح، وفيها أن الله ﷻ شأنه عظيم، وأن له أسماء كثيرة من عظمته سبحانه (فالأسماء الكثيرة دلالة على عظمة الأمر وهذا معلوم في لغة العرب).

ومثل استخدامها للمؤمنين ما ذكرناه مفصلًا في مبحث: البسملة قاعدة من قواعد الاتزان في الحياة..

المبحث الأول

البسملة (بسم اللّٰه الرحمن الرحيم)

ما عليه القول أن البسملة [1] هي آية من القرآن الكريم[2]، وهي أول آية في هذا الكتاب العزيز الحكيم والنسخة التي بين أيدينا من المصحف الشريف فيها أن البسملة هي الآية الأولى من الفاتحة، (وذلك عند عدد من القراء الذين يعدونها آية).

بل العجيب أن البعض جعلها سورة قصيرة من سور القرآن؛ ولا شك أن في هذا تنطع زائد ولا دليل عليه [3].

والبسملة جملة من عدة كلمات اعتاد اللسان على قراءتها، ولكن فيها من الأمور ما هو كثير وعظيم، ولن نستطيع أن نقف على كل ما فيها من عظيم قدرها.

---

(١) البسملة اختصار لـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ويسمى هذا الاختصار في علم البلاغة النحت (انظر: الطاهر بن عاشور بداية شرح (البسملة التحرير والتنوير، (١/١٣٧).

(٢) مصحف المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (ص١).

(٣) انظر: الرسالة الكبرى في البسملة للصبان ص (١٣٧).

فعلى سبيل المثال، لو وقفنا على حرف الباء، ذلك الحرف الصغير الذي جاء قبل كلمة اسم قد ألفت فيه مؤلفات ومباحث [١] ـ ولا غرابة، فكل حرف من حروف القرآن الكريم عظيم، وله معنى ومغزى ـ ولكن أغلب الشراح نهجوا نهج النحاة وأهل البلاغة وتركوا الفوائد الإشارية، والتي هي من منابع تدبر القرآن الكريم والقيمة الروحانية في تدبره. وحتى نكون على طرح متزن فأيضًا بعض التفاسير الإشارية أخذت منحىً آخر، لكنه غير صحيح[٢]، وبعيدًا جدًّا عن التدبر القويم، وليس هذا مجال بحثنا.

وعن البسملة لك أن تعلم ما هو قدر عظمتها بقدر أن لها كثير من الوظائف، وكل ما في الأمر أننا نحتاج إلى التدبر حتى نكون أفضل مما نحن عليه في فهم آيات الله..

---

(١) حاشية الصبان على الأشموني، وكتاب الرسالة الكبرى للصبان، وانظر: كتاب البسملة لأبي شامة المقدسي وغيرها.

(٢) التفسير والمفسرون (٢/٢٦١).

احتوت جملة البسملة على ثلاثة أسماء[1] لله ﷻ ويسبقها كلمة (اسم) المبتدئة بحرف الباء، وسوف نقف مع تفاصيل هذه الجملة العظيمة ونجعلها مقسمة لنشرحها بيسر وسهولة.

---

(١) كتاب النهج الأسمى (٦٣-١/٧٥).

المطلب الأول: بسم الله

(بسم) الباء[1] للاستعانة [2] وفيها كلام كثير طويل جدًّا.

وأصل كلمة (اسم) من غير الباء، السمو والعلو [3]، والاسم هو المسمى وعينه وذاته [4].

توضيح ميسر[5]

عنـــدما نقـــول: (بســـم الله) فهـــذا دلالتـــه أننـــــا نســـــــأل الله ونســـــــتعين بـــــــه [6]

---

(١) كان عمر بن عبدالعزيز يقول لكتّابه: (طولوا الباء، إلى أن قال: تعظيماً لكتاب الله) تفسير البغوي (١/١). إظهارًا للاستعانة بالله.

(٢) بمعنى أستعين بك يا الله.

(٣) وهو المسمى، انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، كمال الدين الأنباري.

(٤) تفسير البغوي (١/٢).

(٥) طبعاً المغزى من الوقوف على هذه المعاني أننا نتعرف أكثر على القرآن الكريم، وبالتعرف أكثر يكمن الفهم الواعي وهنا يكمن التدبر واستشعار معانيه.

(٦) يقول أحد المؤرخين؛ الإغريقي اليوناني (بلوتارك): (من الممكن أن توجد مدن بلا أسوار وبلا ثروة وبلا آداب وبلا مسارح، ولكن لم يَرَ الإنسان قط مدينة بلا معبد، أو لا يمارس أهلها الصلاة)، مجلة مجمع الفقه العدد إحدى عشر، وما

ونـــدعوه [١]بأسمـــاء مـــن أسمائـــه [٢]، بمعـــنى أنـــه تعـــالى وتقـــدس لــه أكثــر مــن اســم، ولــيس اسمًــا واحــدًا فقــط، ولكنــه تعــالى وتقــدس اختـــار اســـم لفـــظ الجلالـــة (الله) في بدايـــة البســـملة لأنه الأعظم[٣] ، والذي إذا دُعي به أجاب.

والله: لفظ الجلالة، غالبًا ما يطلق للتعظيم وللهيبة وللقوة[٤]..

سجل التاريخ هذه الحقيقة إلا لأن الاتجاه إلى الخالق الأعلى مركوز في الفطرة البشرية.

(١) ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ ﴾ سورة الإسراء

(٢) والأمر فيه خلاف؛ فقيل فيه أربعين قولا، انظر الرسالة الكبرى ص (٩٥)، قال ابن القيم يرحمه الله: اسم "الله" دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث "مدارج السالكين" (١/٣٢).

(٣) ولقد دلت كثير من الأحاديث على ذلك بحسب بعض الأقوال؛ فعند الترمذي وغيره: (سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. قال: فقال: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى)، النهج الأسمى (١/٦٣). والحديث صححه الإمام الألباني، انظر صحيح وضعيف الترمذي حديث رقم [٣٤٧٥].

(٤) يظهر من استقراء الآيات التي ذكر فيها لفظ الجلالة – وهي كثيرة جدًّا – على سبيل المثال لا الحصر آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وهي أعظم آية..، وقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٣٥ ﴾ سورة النور من أعظم الآيات وفيها دلالة على عظمة الله ونوره، وتلفظ لفظ الجلالة مفخمة في الأصل.

وفي هذه البداية فقط...

توجيه الله جل جلاله لمن يقرأ القرآن.. أن البسملة طمأنة لنا... بأننا نستعين بعظيم، بل بأعظم من كل عظيم، فلا نخاف أو نحزن من أي شيء، وعلينا أن نخرج كل ما في قلوبنا سوى الله بعد قراءة بسم الله، وكذلك علينا أن نعتاد على ذكرها والتفكر بها تمامًا كما يكررها القرآن الكريم حتى تطمئن نفوسنا أكثر، وما كُرِّرت إلا ولها سر من الأسرار.

بل المطلوب منا أننا نسمي الله في أي أمر، قال رسول الله ﷺ :(كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع)[1] .

---

(١) البال له عدة معانٍ، منها: القلب، مختار الصحاح ص (٤٢)، ومنها الحال، ومنها الحوت العظيم (القاموس المحيط/٩٦٩)، المقصود أنه قليل البركة، رسالة البسملة للصبان (ص ٢٦)، قال الشيخ ابن باز يرحمه الله (إن درجة الحديث تقرب للحسن لغيره) بتصرف، مجموع فتاوى ابن باز (١٣٥/٢٥)،

المطلب الثاني: ماذا تعنيه (بسم الله)(درس عملي).

وهذا هو المطلوب منا في تدبر القرآن وهو الوصول لمقصد الآيات، وإلى ما تشير إليه.

فالبسملة تشير إلى عدة معانٍ، منها:

ـ أنها قسم من الله على صحة هذا القرآن [(١)].

أمر آخر: أن كتاب الله يحتاج إلى قوة في تلقيه وتعلمه وتعليمه وتجويده وحفظه، ولذلك جاءت التسمية بالله في بداية القرآن.

فالبسملة هي أننا نطلب العون من الله، يقول تعالى وتقدس في وصف القرآن الكريم: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ [(٢)]

يقول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ترجمان القرآن في رواية عطاء: (قولًا ثقيلًا)[(٣)] يعني كلامًا عظيمًا.

---

(١) تفسير القرطبي (١/١٤٢).

(٢) سورة المزمل.

(٣) ويستعار ثقل القول لاشتماله على معان وافرة يحتاج العلم بها لدقة النظر، وذلك بكمال هديه ووفرة معانيه. قال الفراء: ثقيلا ليس بالكلام السفساف، وحسبك أنه حوى من المعارف والعلوم ما لا يفي العقل بالإحاطة به فكم غاصت فيه أفهام. انظر: التحرير والتنوير (٢٩/٢٦١).

تُرى ما هي القوة المطلوبة للاستعانة بالله على هذا الكلام العظيم؟ وهل يستطيعها بشر بغير الإعانة من الله..؟ بالطبع لا، بل يستحيل، فبداية القراءة ببسم الله هي إعانة لنا على التمسك بكتاب الله، بمعنى اللهم أعنِّي على تدبر كتابك وقراءته والاهتمام به، اللهم أعني على تعبدك بكتابك..

ومما تشير إليه جملة البسملة: أنك تبدأ عملك بعظمة العظيم القوي العزيز، فلا يعجز من بدأ ببسم الله عن قضاء حوائجه فهنيئًا له.

وبمعنى: أنك إذا سميت فإنك تدعو الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، ومن قالها متوكلًا على ربه صادقًا نيته لله تعالى، تيسرت أموره وتيسر له كل عسير في طريقه، أي أنك تطلب من الله حوائجك، ويستجيب الله جل جلاله لك سبحانه وتعالى بقضاء تلك الحوائج.

فهي تأكيد للاستجابة وتأكيد لتيسير الأمور..

فاشتملت البسملة على اسمه الأعظم، وكل أسمائه عظيمة، وفي هذا رسالة أنه لا عظيم عظمةً مطلقةً إلا الله،

فمهما عظم الأمر في أعيننا وأمامنا فليس هناك عظيم عند الله أعظم منه، ولا هناك أكبر منه سبحانه جل جلاله.

الصعاب هي عظيمة عندنا فقط، بمعنى كل الأمور سهلة وتكون أمام عظمته سبحانه شيء لا يذكر، فهو الخالق المدبر.

ولذلك جاء بعد البسملة قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين)، (العالمين) يعني كل شيء سوى الله، إذًا الحمد لله على كل شيء، فلنا رب عظيم يدبر لنا أمور حياتنا فحمدًا له حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، والحمد له لأنه الرحمن الرحيم والحمد له لأنه مالك يوم الدين.

ومما تشير إليه معاني البسملة أيضًا: أنها بركة، فقبل أن نبدأ بأكل الطعام نقول بسم الله، قال رسول الله ﷺ :(إن الشيطان يستحل الطعام أن لّا يذكر اسمُ الله عليه) (١) وغيرها الكثير من مواقف الحياة لا يتسع المجال لذكرها.

وعند وقوفنا مع معنى هذه الآية العظيمة (البسملة) علمنا أنها تدل على أن ما بعدها أعظم منها، فهي عظيمة تشير

---

(١) رواه مسلم (١٥٩٧/٣) حديث رقم [٢٠١٧].

إلى عظيم، فبعدها سورة الفاتحة وباقي سور القرآن الكريم العظيم، سبحان من أنزله. وجرت العادة أن الأمر من بدايته يظهر كنهه.

المبحث الثاني

(الاسمان الرفيقان)

ونقصد بهما اسميه جل وعلا (الرحمن الرحيم)، والرحمة من صفات أعظم رب في الوجود.

وهو قسمٌ آخر من أقسام البسملة، القسم الماضي كان عن العظمة، أما هذا القسم فيتكلم عن الرحمة.

يقول الإمام الرازي يرحمه الله: (إن التكرار لأجل التأكيد كثير في القرآن، وإن تأكيد كونه تعالى رحمانًا رحيمًا من أعظم المهمات)[١].

يُحْكَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ الْبَجَلِيّ أَنَّهُ قَالَ: هُمَا اسْمَانِ رَفِيقَانِ أَحَدُهُمَا أَرْفَقُ مِنَ الْآخَرِ، وَالرِّفْقُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى[٢]، قال ﷺ (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)[٣] .

(١) نقل هذا ابن عاشور في التحرير (١/١٤١).
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٣٩).
(٣) الحديث رواه مسلم برقم [٢٥٩٣].

والله ﷻ ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ ﴾[١]

وهذه من الآيات القلائل التي جاءت بلفظ كتب على نفسه الرحمة... يعني ألزم نفسه بها سبحانه[٢].

(١) سورة الأنعام

(٢) فالرحمة هنا مصدر، أي كتب على نفسه أن يرحم، وليس المراد الصفة، أي كتب على نفسه الاتصاف بالرحمة، أي بكونه رحيمًا، لأن الرحمة صفة ذاتية لله تعالى واجبة له. التحرير والتنوير (١٥٣/٧).

المطلب الأول: الرحمة مع أعظم رب في الوجود

أعظم كتاب في الوجود يبدأ باسميه تعالى (الرحمن الرحيم).

كلاهما من أصل الرحمة، والرحيم بمعنى مضاعفة الرحمة، وتأكيداً على رحماته الكثيرة والعظيمة بمعنى هو الذي يرحم ويرحم بأضعاف مضاعفة.

ومن أجمل ما قيل في هذا ما نقل عن الإمام البيضاوي، يقول رحمه الله: هو المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها[١].

وعلينا أن نلاحظ وبدقة أن الاسمين الرفيقين تكرَرَا مرتين في سورة الفاتحة، مرة في البسملة الآية الأولى، ومرة في الآية الثالثة من نفس السورة، مما يعنيه أضعاف مضاعفة من الرحمات التي يعدنا بها الله جل جلاله، مما يبدد اليأس من رحمة الله بل يمحيه تمامًا.

---

(١) تفسير البيضاوي (١/٢٧).

ولك أن تتخيل أيها القارئ الكريم أن كتاب الله الذي بين أيدينا يبدأ بالرحمات المضاعفات، لا شك أن لهذا دلالة على أن الرحمة هي المقدمة، وهي الأصل[1]، فالقرآن رحمة ودين الإسلام دين رحمة، فهو سبحانه لم يبدأ كتابه ببسم الله شديد العذاب أو حتى القوي أو العزيز ولكن بدأه بالرحمن الرحيم.

(١) (إن رحمتي سبقت غضبي) الحديث عند البخاري (٩/١٢٥) رقم [٧٤٢٢].

المطلب الثاني: (**درس عملي**)؛ (**الرحمن الرحيم**).

أولًا: علينا بالدعاء بهذين الاسمين العظيمين وهي دعوة الأنبياء.

دعاء أيوب ﷺ في سورة الأنبياء: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ ﴾

دعاء موسى ﷺ في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٥١ ﴾

دعاء يعقوب ﷺ في سورة يوسف: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢ ﴾

وهو من الدعاء بأسماء الله الحسنى أيضًا: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝١٨٠ ﴾ (١)

وكثير من الدعوات في كتاب الله التي هي برحمته، وكلها كانت دعوات مستجابات.

ثانيًا: ومما يدل عليه اسما الله (الرحمن الرحيم) أن نبدأ بهما أعمالنا اليومية، فهذا يعني أننا نبدأ بتذكر رحمة الله، فالقرآن الكريم بدأ بهما في كل سورة عدا براءة، فأعمالنا ستسير برحمته، وستتيسر بعظم شأنه جل وعلا، فأنت تتوكل على عظيم رحيم.

---

(١) سورة الأعراف

ثالثًا: مما يوجهنا إليه القرآن هنا الرحمة بالخلق، إن قراءتنا الرحمن الرحيم تستوجب علينا أن نتدبر هذين الاسمين، وهو كما أننا نطلب الرحمة من رب العالمين علينا أن نكون رحماء بمن هم أضعف منا، وأيضًا كما أن لله أسماء رفيقة، علينا أن نستبشر خيرًا برفق الله تعالى بنا، وأن نكون رفقاء بكل ما حولنا.. لأن الرفق في كل شيء، وليس بالبشر فقط، يقول رسول الله ﷺ : (ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه)(١)، ويقول رسول الله ﷺ: (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) (٢).

والعظمة لا تنافي الرحمة، فهما يجتمعان.

رابعا: وحيث إن بسم الله الرحمن الرحيم هي الآية الأولى في القرآن الكريم، وأن بين آياته وسوره مناسبات، فعلينا أن نربط بسم الله الرحمن الرحيم مع كل مواضع القرآن الكريم عند التفسير والتدبر.

---

(١) صحيح الجامع (٢/٩٨٧) حديث رقم [٥٦٥٤].

(٢) سنن الترمذي (٤/٣٢٣) حديث رقم [١٩٢٤].

المطلب الثالث:

البسملة قاعدة من قواعد الاتزان في الحياة

من إجمال فوائد البسملة، أنها تشمل كثيرًا من القواعد في الحياة لمن تمعن في معناها وتدبرها.

ولنا هنا وقفتان يسيرتان:

الوقفة الأولى: اجتمع في البسملة العظمة مع الرحمة، وهذا درس عظيم نأخذ منه الكثير من العبر، وهذا أساس النجاح في حياة البشرية، كن عظيمًا وكن رحيمًا، ولله المثل الأعلى، فكتاب الله هو توجيه لنا.

الوقفة الثانية: أن المواقف التي نمر بها في حياتنا تحتاج إلى قوة ورحمة، فالبسملة مختصر لما يحتاجه الإنسان في حياته لأهم الأمور؛ التربية، الرزق، التعلم، العمل، مخالطة الناس... إلخ، اسم الجلالة الله... للعظمة، واسما الرحمن الرحيم... للرحمة.

مثال عملي:

البسملة توجيه أنك تقول: اللهم إني أستعين بعظمتك على قضاء أموري، وبرحمتك على تخفيف كل عبء وكرب علَيَّ، لأن الإنسان في حياته يسعى إلى إنجاز أعماله ومهامه، وهذا بحد ذاته بحاجة إلى قوة وقدرة، وفي نفس الوقت هو يحتاج إلى عدم الشعور بألم تبعات هذا الإنجاز ومضايقاته، أو على الأقل شيء ما يهون عليه آثار المشقة والعناء، وهذا يحتاج إلى الرحمة والرفق.

لذلك نجد أن هناك أدعية خاصة لزمنٍ ما، أو موقفٍ حاضر، على سبيل المثال: دعاء الخروج من المنزل، لندرس هذا الدعاء ونوضحه، من قال (إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان) (١)

لاحظ أن الدعاء بدأ بـ (بسم الله)، تُرى لماذا هذا الدعاء؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟ كل ما في الأمر أنني خرجت من منزلي، هذا في الفكر الضيق عندنا، ولكن فعليًّا أنك خارج إلى

---

(١) سنن الترمذي (٥/٤٩٠) حديث رقم [٣٤٢٦]، صححه الألباني صحيح الترمذي (٧/٤٢٩) .

قدر لا تعلم عنه شيئًا، خروج لعلم أو عمل وتعايش مع الناس، فتوجب عليك أخذ الحيطة والحذر الشديدين، وحتى لا يضيق الإنسان بأمرٍ في مسألة الحيرة، فهو يتوكل على الله ويقول الأذكار ويمضي، فهذا الذكر يختصر لك كثيرًا من الأمور...

حتى الإنسان عند نومه يقول: (.... باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها)[1]، كل ما في الأمر أننا سوف ننام، لكن تفاصيل الدعاء فيها أمور عظيمة (باسمك رب وضعت جنبي)، هذا لأننا سوف ندخل عالمًا لا نعلم عنه إلا أننا نضع رؤوسنا على الوسادة، لكنه عالم مخيف، فتطلب ذلك منا أن نستعين بالله باسمه الأعظم.

وفي الصباح، ندعوه جل وعلا فنقول: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)، وأغلب المواقف تقتضي منا ذكر (بسم الله) فقط من غير إضافة (الرحمن الرحيم).

---

(١) صحيح البخاري (٨/٧٠) حديث رقم [٦٣٢٠] .

المبحث الثالث

مناسبة البسملة والرحمة

في سورة الفاتحة مع الهداية

كما ذكرنا سابقًا أن الرحمة تكررت مرتين في هذه السورة العظيمة [1].

ولكن نلاحظ أن التوجيه للدعاء في سورة الفاتحة جاء بعد اسمي الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، فقد جاءت بعد ذلك الآية الكريمة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ بمعنى أن القارئ يدعو الله ﷻ باسمي الله، الرحمن الرحيم من أجل أن يتم نعمة الهداية عليه، فكلمة (اهدنا) من الهداية، والتي هي عكس الضلال، وهذا يدل على سعة الدعاء بهذين الاسمين الجليلين، وقد تقدم معنا أيضًا كيف أن أيوب عليه السلام دعا الله ﷻ بهذين الاسمين، وغيره من الأنبياء، وكانت دعوة أيوب عليه السلام ليست لمرضه فقط، بل لتغيير حاله، فقد وصل إلى أنه ابتلي بلاءً عظيمًا، ولا يوجد تفاصيل دقيقة صحيحة عما أصاب أيوب عليه السلام بالضبط، يقول رسول الله ﷺ: (إنَّ أيوب نبي الله لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخصِّ إخوانه، قد كانا يغدوان إليه، ويروحان... الحديث) [2].

---

(١) انظر ص (٣٩) من هذا الكتاب.

(٢) حديث صحيح، السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني (١/٥٣).

المبحث الرابع
صور من رحمات اللّٰه

وما دام السياق عن رحمة الله فدعونا نعرج على هذا الموضوع سريعًا؛ فلا يظن الظان أن رحمة الله متعلقة بشفاء من مرض أو إرجاع تائه إلى أهله فحسب، هي ليست لمن يشعر بالوحدة ويتذكر أن الله رحيم به فقط، هي ليست لمن يذنب ويذكر رحمة ربه فقط، أو الصور المعهودة والتي تجعل حيز الرحمة ضيقًا.. لا بالعكس، فرحمة الله وسعت كل شيء، يعني في كل شيء ولجميع البشر ليس شيئًا خاصًّا لأحد، وكون أن الرحمن الرحيم جاءت بعد الحمد لله رب العالمين، هذا يعني أن رحمة الله شاملة لجميع أركان الحياة فهو رب العالمين (جميع العوالم ليس في الدنيا والآخرة فقط..!!) فرحمته شاملة لكثير من الأمور، وهاكم أمثلة على ما أريد التنويه إليه.

ومن الصعوبة بمكان الإطالة كثيرًا لكن سوف أذكر عدة أمثلة على رحمة الله التي يكون تفكير المرء بعيدًا عن التدبر فيها.

فمن أعظم رحمات الله علينا إرسال رسوله الكريم ـ عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ في سورة الأنبياء، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾

ومن رحمة الله إنزال القرآن الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ (١)

ومن رحمة الله أن جعل نبيه لينًا ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ.. ١٥٩ ﴾ (٢)

ومن رحمة الله استخراج كنز اليتيمين، ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ ﴾(٣)

ومن رحمة الله تعالى أنه ﷻ عصم الرسول ﷺ من الوقوع في الخطأ (٤) ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾ (٥)

---

(١) سورة يونس.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة الكهف.

(٤) التحرير والتنوير(٥/١٩٥).

(٥) سورة النساء.

ومن رحمته تعالى إبعادنا عن الشيطان، ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾[1]

ويقول تعالى[2]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾

ومن رحمة الله أنه ينصر عباده، ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٤ ﴾[3]

كانت هذه وقفة يسيرة لتوضيح أن رحمة الله وسعت كل شيء، وإلا فالمقام عظيم ويحتاج إلى إسهاب أكثر ولعل فيما ذكر إشارة تغني عن العبارة.

---

(١) سورة النساء.

(٢) سورة النور.

(٣) سورة البقرة.

المبحث الخامس

بين البسملة و الفاتحة آية عظيمة

في بداية سورة عظيمة

(الرحمة والعظمة[1] هي أهم ما يربط البسملة بسورة الفاتحة)

فالبسملة هي بداية القرآن وبداية الفاتحة .

١. اسم الله الأعظم في البسملة؛ فهي عظيمة، والفاتحة هي أعظم سورة في القرآن الكريم.

٢. والفاتحة أول سورة في القرآن، والبسملة هي أول آية في القرآن الكريم.

٣.كلتاهما تتكلمان عن الرحمة.

٤.كلتاهما رقية يسترقى بهما، وأول سورة بعدهما (سورة البقرة هي رقية أيضًا، وسورة البقرة اشتملت على آية الكرسي، وهي رقية، وأيضًا أواخر البقرة رقية).

٥. البسملة هي قاعدة من قواعد الاتزان في الحياة وكذلك الفاتحة.

٦.كلتاهما تشتملان على الدعاء بأسماء الله الحسنى.

---

(١) لقوله ﷺ لأبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه: "لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد... إلى أن قال له: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته". مسند الإمام أحمد (٢٩/٣٩٥)،حديث رقم [١٧٨٥١].

المبحث السادس
حمدُ اللّه على رحمته

ما بين الرحمة المذكورة في البسملة والرحمة التي تأتي بعدها في سورة الفاتحة حمد الله نفسه.

وهذا الحمد، هو أول حمدٍ في القرآن يحمد عليه الله جل جلاله، يحمد أنه الرحمن الرحيم

فجاء بعد آية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢﴾ **آية** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ **، بمعنى احمدوا الله أنه هو رب العالمين، وأنه هو الرحمن الرحيم، وأنه ليس أحد سواه ـ تعالى وتقدس سبحانه..**

رب العالمين[1] هو المتصرف فيهم، وأنه أيضًا مالك يوم الدين، ويوم الدين هو واحد من العوالم التي يتصرف الله ﷻ بها، فالله ﷻ هو المتصرف بعوالم الدنيا والآخرة، ومع كل هذا فإن من صفاته الرحمة فهي تحت رحمة الله أيّ سعادة واطمئنان يملأ قلب المؤمن بعد كل هذا، فلنستشعرها جيدًا ولنعش معها.

---

(١) نعني بالعالم كل موجود سوى الله تعالى، الغزالي (الاقتصاد في الاعتقاد). والعالمين: جمع عالم، [وهو كل موجود سوى الله ﷻ] والعالم جمع لا واحد له من لفظه، والعوالم أصناف المخلوقات [في السماوات والأرض] في البر والبحر، وكل قرن منها وجيل يسمى عالما أيضًا تفسير ابن كثير (١/١٣١).

إذًا أول حمد في القرآن لثلاثة أمور:

١ ـ أنه تعالى وتقدس رب العالمين.

٢ ـ أنه الرحمن الرحيم.

٣ ـ أنه مالك يوم الدين، ومن ثم كان الدعاء ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾

الفصل الثاني
ما بين سورتي الفاتحة والبقرة

قبل أن نتعمق في بيان تفاصيل هذا المبحث.. أُذكِّر بثلاثة أمور:

أولًا: أنه علينا أن نستجمع قواعد التدبر [1] بمسألة البحث عن المناسبات بين الآيات والسور الكريمة[2] لأنه من غير علم المناسبات لن نصل إلى هذه الفوائد ولا حتى بجزء يسير منها.

ثانيًا: أن القرآن الكريم في أحايين كثيرة يخاطب القارئ بأسلوب الخطاب العام[3] ـ وهذا ما لَحِظناه في سورة الفاتحة ومقدمة سورة البقرة ـ الذي يكون للعاقل، بمعنى أنه للجميع (كافرهم ومسلمهم) إلا إذا كان هناك نداءٌ مخصصٌ؛ مثل : قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

وغيرها، ومع ذلك فهذه الخطابات تستوعب الجميع، بمعنى أن لها فوائد يستفيد منها كل من يقرؤها[4]، على مختلف عقائدهم

(١) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور (١/٨٨).

(٢) عن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه، قال: إذا حدثت عن الله فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده، (تفسير ابن كثير ١/١٣).

(٣) وهذا باب واسع لا تسعه المؤلفات، راجع أيضا البرهان(١/١٣٠)

(٤) ولطاهر ابن عاشور يرحمه الله وقفات جميلة في هذا الجانب منها ما فسره بقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾ (سورة النساء٦٦) قال: وقال الفخر هي توبيخ للمنافقين، أي لو شددنا عليهم

وطوائفهم [١]، ولعل ذلك يندرج تحت ما يسمى بالإيجاز[٢] والالتفات[٣] ، وغيرها من أساليب البلاغة، والأمر يعتمد اعتمادًا كبيرًا على ما ذكرنا، ومنها مناسبة سورة الفاتحة

التكليف لما كان من العجب ظهور عنادهم ولكن رحمناهم بتكليفهم اليسر فليتركوا العناد، وهي على هذا الوجه تصلح أن تكون تحريضاً للمؤمنين على امتثال أمر الرسول ﷺ وانتفاء الحرج عنهم من أحكامه، فإنه لم يكلفهم إلا اليسر، كل هذا محمول على أن المراد بقتل النفوس أن يقتل أحد نفسه بنفسه، ويُنظر كتابنا : تأملات في رؤيا يوسف عليه السلام إذ استنبطنا من كلمة الكواكب أكثر من معنى.

(١) قال: النووي ـ يرحمه الله ـ في المجموع (٨٥/٢): "قال أصحابنا: لا يمنع الكافر سماع القرآن، ويمنع مس المصحف"، ويقول الشيخ العلامة ابن باز ـ يرحمه الله: والمعروف عند أهل العلم منع النصراني واليهودي وسائر الكفرة ـ يقصد من مس المصحف، وقال يرحمه الله: أما بالنسبة لكتاب ترجمة معاني القرآن فلا حرج في أن يمسه الكافر؛ لأن المترجم معناه أنه كتاب تفسير وليس بقرآن (٣٤٠/٢٤).

(٢) هو الجمع للمعاني الكثيرة، بالألفاظ القليلة، الحيوان للجاحظ (٤٢/٣).

(٣) وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، البرهان للزركشي (٣٨٠/٣).

وأواخرها ببداية سورة البقرة ومقدمتها، كنوع من أنواع علم المناسبات[١]

ثالثًا: تطبيق قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٢]...

وهذه القاعدة تلهمنا بحرًا من التدبر، فهي تدل على أن كثيرًا من الآيات تشير إلى عدة فوائد وليس فائدة واحدة فقط...

ومضة:

مختصر القول وشرح موجز لما أريد إيصاله للقارئ:

(لو أن مدرسًا نبه طلابه بأن من يغيب غدًا فسوف يعاقب)

فهذا معناه ثلاثة أمور، الأول واضح، والثاني مبطن، وهناك أمر ثالث.

---

(١) انظر كتاب: مباحث في التفسير الموضوعي (٦٨)، وانظر جواهر البيان في تناسب سور القرآن (ص ١٦).

(٢) قاعدة أصولية كثيرًا ما يستعملها الفقهاء والمفسرون وغيرهم من العلماء. انظر الأشباه والنظائر (٢/١٣٤).

الأول: أنه من يغيب فسوف يعاقب ولعله يضرب أو أي عقابٍ آخر...

الثاني: من لا يغيب فلا ويل له ولا يعاقب ـ هذه لا تحتاج إلى سؤال ـ هي واضحة بالنسبة للمخاطب، لذلك لا يسأل الذي لا يغيب، ما شأنه في عقاب ليس له.

وشيء ثالث: هو خطاب لإدارته أنه مهتم بعمله. ولعلها أيضًا رسالة لزملائه ليحذوا حذوه.

كل هذه المعاني مستقاة من جملة واحدة وموقف واحد فقط، وهذا من روائع لغتنا العربية وفوائد التدبر والتفكر.

فالمقصود أن الخطاب الواحد له أكثر من معنى، وتظهر كثير من المعاني إذا أوصلنا الكلام بما قبله وبعده، ولله المثل الأعلى.

المبحث الأول

(أواخر سورة الفاتحة وما تشير إليه)

ما المقصود بالمغضوب عليهم والضالين، وما هو سبب وصفهم بهاتين الصفتين؟

في بداية مدخل هذا المبحث أود الإشارة إلى أكثر من سؤال مهم والتنبيه عليها:

. ما السبب الذي جعلهم من المغضوب عليهم؟

. ولماذا الفئة الثانية هم من الضالين؟

. ولماذا وصفوا بذلك؟ ومن المقصودان بتلكما الصفتين؟

وهذه الأسئلة هي مقدمة لمعرفة الخلل الذي وصلوا له حتى نستطيع علاجه... ونسرد كيف وجهنا القرآن الكريم في التعامل مع هذه المسألة... وفيه أيضًا من فوائد الربط بين نهايات سورة الفاتحة ومقدمة سورة البقرة.

المقصود بتلكم الصفتين هم اليهود والنصارى : جاء في الحديث الشريف:(المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى ... الحديث)[1]

ومن بعض أسباب ضلال اليهود والنصارى [2] التي جاء توضيحها في بعض الآثار.

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للأرناؤوط (١٤/١٤٠) برقم [٦٢٤٧].

(٢) هذه من الأسباب وليست كلها، ولكن من أعظمها، بالطبع لن ندرس جميع الأسباب فهذا ليس محل دراستها، ولكن تسليط الضوء على أهمها كما ذكرنا.

(.أما اليهود فكذَّبوا محمَّدًا ﷺ، وأما النَّصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب [1]. ولما سرد الإمام البخاري

---

(١) صحيح البخاري (٦/٩٣) حديث رقم [٤٧٢٨].

الدليل على تكذيبهم بالغيب: يقول تعالى عن خلق اليهود في التعامل مع الأنبياء حتى وصل بهم الأمر أنهم يقتلونهم ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ سورة البقرة

والمقصود بالإيمان بالغيب أن يغير الإنسان نفسه بالإيمان الصحيح فيعدل من عقيدته وسلوكه.

ـ وفي الكتاب المقدس ـ سفر الرسالة إلى أهل رومية الإصحاح ١٤ ص (٢١٧ – العهد الجديد) "لأن ليس ملكوت الله أكلًا وشربًا، بل هو بر وسلام وفرح في روح القدس" طبعة دار الكتاب المقدس بمصر... وملكوت الله لها الكثير من المعاني ومنها أنها الجنة.

وأيضًا هم ينكرون كثيرًا من الغيبيات مثل الزواج في الجنة؛ جاء في الكتاب المقدس العهد الجديد سفر متى الإصحاح ٢٢ (لأنهم في القيامة لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء) ص ٣٢.

ولعل الأمر فيه خلاف بينهم. والأكل والشرب من ضمنها، ولعل ذلك فعلًا موجود في كتبهم ولكن هم كفروا به، لأنه محرف وهم أكثر من فرقة وليسوا فرقة واحدة.

في صحيحه الأثر السابق ذكر رواية أخرى[١] أن هذه صفة عُبّاد النصارى، وقيل أصحاب الصوامع، وقيل بعض الرهبان، وهذا يدل على أن الأمر فيه خلاف بينهم لعل الأمر فيه خلاف بين طوائفهم المسألة تحتاج إلى بحث، لأن النصارى يؤمنون بالجنة، ولكن لعل الإشكال أن إيمانهم بالجنة ليس كإيمان المؤمنين، وليس كما جاء في شريعتنا خاتمة الشرائع، فكونهم يؤمنون بالجنة (وهي من الغيب الذي لم نشاهده بأعيننا) على مرادهم لا كما أراد الله فهذا يعني أنهم لا يؤمنون بالجنة لأن الإيمان كل لا يتجزأ، لا يأخذ شيئًا ويترك آخر أمر الله به، والاختيار والتفريق من صلب عقيدتهم للأسف كما جاء في قوله تعالى في سورة النساء الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ ﴾

وهذه الآيات في اليهود والنصارى ورد عليهم جلا جلاله في الآية التي تليها مباشرة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ ﴾

---

(١) من طريق ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة عن مصعب. (فتح الباري ٥٤٠/٨).

وإجمالًا في عقيدة الكفار عمومًا يقول تعالى في سورة الكافرون: (لا أعبد ما تعبدون) هم فعليًّا يعتقدون أنهم يعبدون الله ولكن ليس على مراد الله فهم لا يعبدون الله لأن عبادة الله هي كما يريد هو ـ جل جلاله ـ لا كما يريد الكفار

. الشاهد أن اليهود كذبوا نبينا محمدًا ﷺ .. وعمومًا هم يكذبون الحقائق، وهذا خلقهم وديدنهم.

. والنصارى كفروا بالجنة وهذا من أسباب ضلالهم.

وبعد هذا كله، فقد علمنا أنهم وصلوا لمرحلة خطيرة جدًّا من البعد عن الله.. بل من شدة ما وصل اليهود من ظلمٍ لأنفسهم، أطلق القرآن عليهم المغضوب عليهم وهذا وصف شديد له مغزاه [1].

---

(١) "لم يذكر في الآيات من غضب عليهم تحديدًا، حيث إن الله هو الذي غضب عليهم، ولكن جاء المعنى بمعنى عام (المغضوب عليهم) لماذا؟. "ليعم الغضب عليهم من جميع الجهات، غضب من الله، غضب من الملائكة، وغضب الغاضبين لغضب الله، بل إنه سيغضب عليهم أخلص أصدقائهم في الآخرة" لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ العنكبوت .

وذكر عن بعض المفسرين أن كل ضال هو مقصود بهاتين الصفتين المغضوب عليهم والضالين [1]. لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[2].

---

(١) تفسير ابن كثير، وهذا هو قول الشيخ ابن عثيمين يرحمه الله، تفسير القرآن الكريم سورة البقرة (١٧/١).

(٢) انظر ص (٦٢).

المبحث الثاني

مقدمة سورة البقرة وما تشير إليه

والربط بينها وبين الفاتحة

تمهيد للمبحث:

سأسلط الضوء في هذا المبحث على منظور آخر وبمعنى آخر، والغرض من ذلك هو استشفاف مزيدٍ من الفوائد والنكت من آيات الله الجليلة في كتابه الكريم.

انتهت السورة العظيمة ـ سورة الفاتحة ـ بقوله تعالى:

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾

وبدأت سورة البقرة بقوله تعالى:

﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾

ومضة:

لاحظ... أن سورة الفاتحة انتهت بمعضلة.

وبداية سورة البقرة اشتملت على حل المعضلة التي ذُكرت في نهاية سورة الفاتحة.

تفصيل ما سبق:

في تلك الآية السابقة والتي تنتهي بها سورة الفاتحة نلاحظ أن هناك معضلتين وإشكالين كبيرين، هذان الإشكالان يتمثلان بفئتين هما: (المغضوب عليهم) و(الضالين)، وإِشكالهُم الذي وقعوا فيه أن لديهم اعتقادات جذرية تبعدهم عن طريق

الهداية (الصراط المستقيم)، والدين القويم، مما جعلهم يضلون ويتركون الطريق الصحيح ويكفرون بالله.

فالصراط المستقيم طريق مخصوصٌ وَهِبَةٌ للذين أنعم الله عليهم فقط، بمعنى أنه لا يشاركهم فيه أحد من أهل الضلالة واتباع الهوى، ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾.

وحتى تكتمل المنظومة في الفوائد القرآنية في هذا الكتاب العزيز فإن هاتين الفئتين تحتاجان توضيحًا لطريق الهداية[١] تمامًا كما نحتاج إلى التحذير منهما وذمهما والرد عليهما، فلا يُكتفى بذمهما فقط[٢] من غير السعي في علاج ما هم عليه من الضلال، بل هذه هي الدعوة إلى الله ومنهج القرآن[٣]، ليبتعدوا على ما هم عليه من الباطل الذي يغضب الله تعالى وتقدس.

---

(١) انظر تفسير الضوء المنير (١/٨٠).

(٢) أنا لا أنكر ذمهما، ولكن ليس هذا هو المغزى الوحيد من إظهار القضية أو المعضلات.

(٣) عدم علاج الأمر يجعله ينتشر.

ولعل في الأمر حجة عليهم أيضًا، لأن الحق ظهر لهم فلا عذر ولا حجة بعد ذلك [١].

فالمسألة لا تتعلق بذمهم والتقليل من شأنهم فقط، مع أنهم يستحقون أكثر من ذلك، وهو من المعاني الواضحة أيضًا بشأنهم، ولكن القرآن الكريم كتاب الوسطية والعدل، لا يوجد فيه ظلم أو إجحاف؛ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[٢] فلا يمكن أن نتغافل عن معانٍ أخرى لها نفس الأهمية، ويتضح من خلالها توازن وعدل هذا الكتاب العظيم، لذلك نجد أن في بداية سورة البقرة[٣] آيات عظيمة تحمل قمة البلاغة والبيان بين طياتها ـ كسائر آيات القرآن

---

(١) وإظهار الحجة هو منهج شرعي يلتزم فيه الشرع.

(٢) سورة فصلت.

(٣) وهذا يظهر من ربط الآيات عند تلاوة القرآن، فالقضية لا تنتهي بانتهاء قراءة سورة الفاتحة فقط، لا هذا لا يصلح ولكن ستظهر أمور كثيرة عندما نربط نهاية سورة الفاتحة ببداية سورة البقرة.

الكريم ـ لها كثيرٌ من المدلولات وتحتوي على فوائد جليلة، حيث إن من معانيها توضيح الطريق الصحيح للمخاطب [١].

غير ما تحويه من جماليات رائعة للمشار إليه[٢] والسر وراء كل هذه الفوائد من تلك الآيات أن الخطاب فيها عام وغير مخصص[٣].

ولا ضير، فهذا من رحمة الله تعالى التي تتجلى في كتابه العظيم امتدادًا لأول آية في القرآن الكريم (بسم الله الرحمن الرحيم) التي تبين وتُذَكِّر برحمة الله ولطفه[٤] وحتى لا يقنط أحد من خلقه، فهو الرحمن الرحيم تعالى وتقدس...إذًا...

---

(١) علمًا أن المخاطب هنا للعاقل، والذي اشتملت عليه سورة الفاتحة والتي جاء فيها ثلاث فئات هم المقصودون من الخطاب، والذين هم عقلاء فهي مدح للمتقين وتوجيه للضالين والمغضوب عليهم.

هناك ثلاثة أصناف ذكرت في أواخر سورة الفاتحة للعاقل ١. الذين أنعمت عليهم، ٢. المغضوب عليهم، ٣. الضالين، الخطاب سوف يحتويهم لأن الخطاب يكون للعاقل في القرآن الكريم. بمعنى آخر أن معنى الآيات يقصد به هذه الفئات المذكورة.

(٢) القرآن الكر يم في قوله تعالى: (ذلك الكتاب).

(٣) سنشرح ذلك بالتفصيل ـ إن شاء الله تعالى ـ عند الحديث عن قاعدة العبرة بعموم اللفظ.

(٤) انظر: المبحث الخاص بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) من هذا الكتاب.

المعضلة الأولى: والتي جاءت في نهاية سورة الفاتحة أن هناك المغضوب عليهم.

والثانية: أن هناك الضالين، ويجب أن يكون هناك حل لهاتين المعضلتين بغض النظر عن كفرهم وفسقهم وبُعدهم عن الحق.

والقارئ لكتاب الله يجد أن هذا أسلوبٌ قرآنيٌ فريدٌ، وهو ذكر المشكلة وإتباعها بحل للخروج من هذا الإشكال، ولإقامة الحجة أيضًا على من يخصه الموقف.

إن مقدمة سورة البقرة اشتملت على النصح والتوجيه والرد والتحذير (أين التحذير بـ [ألم])، فقد جاء في بدايتها دفاع عن القرآن الكريم دستورنا القويم قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ مما يدل على أن أحدًا ما تكلم وكذب وشكك في هذا القرآن العظيم وهم المغضوب عليهم والضالون ومن على شاكلتهم، فجاءت هذه الآية ردًّا عليهم، وبعد ذلك ذكرت صفات المتقين والتي هي بخلاف صفات المكذبين تمامًا.

ونلاحظ أن صفات المتقين هنا ليست فقط مدحًا للمتقين وإعلاءً لقدرهم وإظهارًا لمنزلتهم عند الله، بقدر أنها

أيضًا توجيه لمن قرأ أو سمع تلك الصفات كائنًا من كان بأن يلزمها حتى ينجو ويكون منهم، ويكون على الصراط المستقيم تحفيزًا لهم، إذن الآية ليست مجرد إخبار عن الكتاب، ولكن هي أيضًا ردٌّ على من أراد أن ينتقص من هذا الكتاب العظيم وأمور أخرى غير ذلك[1].

تمامًا كما أن النظر في آيات شدة غضب الله على الفئة الضالة في آخر سورة الفاتحة واستثنائهم من الصراط المستقيم، فهي ليست فقط لإظهار غضب الله على الضالين وانتقاصهم، بل تحذير للمؤمنين أيضًا حتى لا يكونوا مثلهم ويبتعدوا عن طريقهم أشد البعد. ويتكرر أسلوب النصح والتوجيه في سورة البقرة بعد سرد سير ومنهج أهل الكفر والضلال، يقول تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2].

---

(١) انظر (ص١٤٩) الخرائط الذهنية، المخاطب في نهاية سورة الفاتحة وبداية سورة البقرة .

(٢) سورة البقرة، يقول الإمام أبو جعفر الطبري يرحمه الله: فأَمر ـ جل ثناؤه ـ الفريقين اللذَين أخبر الله عن أحدهما أنه سواء عليهم أأنذروا أم لم

هذه الآية الكريمة فيها الخطاب بالمدلول العام فبدأ بـ [يا أيها الناس] (للجميع) وهي واضحة الدلالة[١] ، ومغزاها حث الجميع على عبادة الله:﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ ، بل وجاءت بعد ذكر صنفين من أصناف البشر بحسب معتقدهم وهم الكافرون[١] في قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

ينذروا أنهم لا يؤمنون، لطبعه على قلوبهم وعلى سمعهم، وجعله على أبصارهم غشاوة، وعن فريق آخر أنه يخادع الله والذين آمنوا بما يبدي بلسانه من قلبه: آمنا بالله وباليوم الآخر، مع استبطانه خلاف ذلك، ومرض قلبه، وشكه في حقيقة ما يبدي من ذلك؛ وغيرهم من سائر خلقه المكلفين، بالاستكانة والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية له، والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة؛ لأن الله ـ جل ذكره ـ هو خالقهم وخالق من قبلهم من آبائهم وأجدادهم، وخالق أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم، فقال لهم ـ جل ذكره: فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم وهو يقدر على ضركم ونفعكم أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضر. تفسير الطبري (١/٣٨٥،٣٨٤).

انظر تفسير القرطبي (١/٣٤٠) أنه عام في جميع الناس، فيكون خطابه للمؤمنين باستدامة العبادة، وللكافرين بابتدائها. وهذا حسن، كان المعنى على أوجه وجّه للمؤمنين ووجّه للكافرين كما بينا.

(١) والظاهر أن الحديث هو عن الجميع تكرر معنا؛ فأول سورة الفاتحة خطاب للجميع، وهنا أيضًا خطاب للجميع، فليتنبه إلى ذلك.

(١) يقول الطاهر بن عاشور: المذكورين هنا هم فريق من المشركين التحرير والتنوير (١/٢٤٨).

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ والمنافقون [٢] في الآية التي بعدها في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾

وما هذا إلا لتوجيههم إلى الطريق الصحيح لحل المسائل التي هم واقعون فيها وجعلتهم في دائرة الكفر، وكل ذلك بعبادة الله ـ جل وعلا ـ.

فعلى المسلم ألا يعيش فقط بين صفات المؤمنين والمتقين، وعليه أن ينظر إلى صفات أهل الكفر[٣] حتى يتعظ ويتعرف على ما نحن فيه من نعيم، فالفرق شاسع بين الفريقين، وأيضًا لكي نتجاوز أخطاءهم حتى لا نقع فيما وقعوا فيه، وحتى لا يكثر الغرور في القلب أو التكبر في الطاعات، فذلك بفضل من الله وحده أن جعلنا من المؤمنين.

---

(٢) يقول الطاهر بن عاشور: وهم المنافقون، التحرير والتنوير (٢٤٨/١).

(٣) عرفت الشر لا للشر.. وكان سعيد بن المسيب يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه.

ومنهج القرآن الكريم في كثير من الآيات يحثنا على النظر في ما مضى من سنن وأحداث[1] حتى يكون الوعظ للنفس، يقول تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[2]

وإذا بحثنا عن المناسبة لنهاية سورة الفاتحة بمقدمة سورة البقرة نجد فيها كل ما قدمنا له في هذا الفصل.

إن من أسباب ضلال المغضوب عليهم والضالين، البعد عن صفات المتقين؛ ومن أولاها الإيمان بالغيب لما له من أثر على الاعتقاد وأصول الدين، ووجود هذه الصفة هنا إنما هي إظهار لأعظم سبب للوصول لأرقى درجات الإيمان وهو التقوى، تمامًا كما أن عدم الإيمان بالغيب ـ عياذًا بالله ـ هو سبب ضلال الكفار بل أعظم سبب لضلالهم، لذلك جاءت أول صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب وكانت في مقدمتها.

من آثار عدم الإيمان بالغيب التشكيك في كثير من أمور الشرع، يشكك في صحة القرآن (كما أسلفنا)، يشكك

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/١٢٦)، بتصرف.

(٢) سورة آل عمران

في صحة الرسل والرسالات، يشكك في وجود الله عياذًا بالله، وهكذا خطوة خطوة يدخل في أمور لا نهاية لها كلها ضلال في ضلال.

ولاحظ أيضًا كيف كان التحفيز حيث أوصلهم لطريقة الوصول لأعلى الدرجات(١)، ليس فقط دخول في إسلام أو زيادة إيمان!! وهذا والله من حُسن النصيحة والإتقان سبحان الله لا كامل إلا هو.

والإيمان بالغيب هو من الإشكالات التي وقع فيها المنافقون والضالون والمغضوب عليهم. ولو أنهم آمنوا به حُلَّت جميعُ قضاياهم من جذورها، ومن غيره لن يستطيعوا، فهذه هي العقبة الأولى في منهجهم.

ملخص التوجيه: إذنْ من حلول هذه المشكلة أن يتصفوا بصفات المتقين، فيؤمنون بالغيب الذي يقودهم للهداية إلى الإسلام.

---

(١) واليقين أعلى درجات الإيمان، وقد يراد به العلم، [انظر القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٢/٧٨)]، وانظر فتاوى ابن عثيمين (١٠/٦٥٨).

إن الإيمان بالغيب جاء بعد ذكر القرآن، وجاء بعد التعريف بالمتقين؛ بمعنى أن الإيمان بالقرآن والوصول إلى درجة المتقين يحتاج إلى الإيمان بالغيبيات.

وهذا كله جاء بعد آية من معانيها رفع حالة التنبيه للحالة القصوى (الم).

سرد العلماء كثيرًا عن معاني الحروف المقطعة ولعلها من أكثر المسائل القرآنية بحثًا.

لكن ما أود أن أشير إليه أن (الم) تغير نسق السياق، مما يدخل عامل التعجب للقارئ، ويجعله يأخذ خطوات في التركيز بشدة إلى ما بعدها وربطها بما قبلها، وكذلك الأمر له رهبة في تلك الحروف المقطعة، تنعكس على رهبة في القلب، وتسارعِ في التفكير والسؤال: لماذا (الم)؟ إنه شيء مخيف ومقلق.. لذى علينا الانتباه والتركيز.[١]

(١) وقال الرازي: "الحروف تنبيهات، قُدمت على القرآن؛ ليبقى السامع مقبلاً على استماع ما يرد عليه، فلا يفوته شيء من الكلام الرائق، والمعنى الفائق مفاتيح الغيب (٢٨/١٢٠)، وانظر المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص٣).

المبحث الثالث قوله تعالى:

[ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين]

وما تشير إليه، ومَن المخاطب من تلك الإشارة؟

وما المناسبة في ذلك مع سورة الفاتحة؟

الهدف من هذا المبحث:

هو تدبر قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ وإظهار المناسبة في الآية الكريمة مع المخاطب، بمعنى: ما هي الرسالة الموجهة للقارئ من تلكم الآية المباركة؟

حيث نبين الفائدة من اسم الاشارة (ذلك) وما له من معاني تختلف بَحسْبِ السياق للمخاطب (القارئ، أيًّا ما كان)، وللمشار إليه (وهو القرآن الكريم)، وعلاقة ذلك بسورة الفاتحة، وسورة البقرة أيضًا.

تفصيل ما سبق:

(ذلك) اسم إشارة للبعيد[١]،وله عدة معاني وإشارات، منها ما هو خاص بالقرآن الكريم (فوائد خاصة بالقرآن)،ومنها ما هو خاص للمخاطب (رسائل موجهة للقارئ) (والمقصود بالفئات التي ذكرت في سورة الفاتحة وسورة البقرة).

نبدأ بما هو خاص بالقرآن الكريم:

---

(١) ويجوز أن ينوب اسم الإشارة الدالّ على القرب عن الدالّ على البعد وبالعكس؛ فتنوب هذا عن ذلك وذلك عن هذا، وذلك لما ذكرناه من قصد التعظيم أو التحقير. انظر معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي (١/٩٠)، و(١/٩١).

أولًا: المشار إليه وهو (الكتاب) باسم الإشارة (ذلك).

نستنتج عدة أمور:

١. ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ إشارة للجميع، فالخطاب هنا عام لا يقصد منه فئة معينة بحد ذاتها، والقرآن نزل رحمةً للعالمين جميعًا، على سبيل المثال فلم يذكر يا أيها الذين آمنوا ذلك الكتاب، بل هو توجيه عام للجميع.

٢ . بما أن [ذلك] تدل على البعيدُ فهذا فيه دلالة أن كلمة الكتاب في الآية السابقة يقصد بها اللوح المحفوظ في السماء فهو بعيد عنّا وليس معنا[١]. وهذا ما تطمئن له النفس؛ لأن الآية فيها دلالة على أن هذا الكتاب هدى، وهذه الآية نزلت في بداية نزول القرآن، بمعنى أن القرآن لم يكن مكتملًا حينها، فيكف سيكون هدى؟ لأن القرآن يؤخذ كله. فليس جزء منه هداية بل كله هداية.

٣. وهناك دلالة أخرى لمعنى البعيد، أي أنه بعيد عن أهل الباطل المغضوب عليهم والضالين ومن على شاكلتهم، بعيد

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١/١٥٧). وقال الكسائي: "ذلك" إشارة إلى القرآن الذي في السماء لم ينزل بعد، ولعله يقصد وقت نزول هذه الآيات.

عنهم كل البعد، فلا يستطيعون الوصول له للعبث به وتحريفه ـ عياذًا بالله ـ فهو محفوظ عند الله لا يستطيعون الإضرار به بتاتًا ـ حاشا لله. تعجيزًا للكفار.

٤. بعيد بمعنى أنه أعلى منّا وبعيد عنّا بعظمته وتقديسه، فهو كلام الله تعالى وتقدس. تعجيزًا للكفار وتثبيتًا للمؤمنين أيضًا.

الفوائد الخاصة بالمخاطب...

وذكرنا بعضها فيما مضى ونثني بأخرى...

أولًا: طمأنةٌ للمؤمنين:

على سبيل المثال ما تشير إليه باعتبار المخاطب مسلمًا مؤمنًا مصدقًا بالله ورسوله: تعريفًا لهم بمكانة القرآن، وأن يحافظوا عليه فهو: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، وألاَّ يكونوا بعيدين عنه، وبأن يطمئنوا أن هذا الكتاب محفوظ عند رب العباد لا يستطيع أحد الوصول له، وبما أن هذا القرآن الكريم وهو دستورنا محفوظ فهذا معناه أن الدين كله محفوظ.

. توجيههم لمعرفة قدر هذا القرآن الكريم فهو عظيم فيجب تعظيمه، وأن الاستهانة به بُعدٌ عن الحق وكفر به عياذًا بالله[1] لا قدر الله.

. توجيه لهم للاهتمام به أشد الاهتمام، وأعلى درجات الحب والتقديس لهذا الكتاب الكريم، حفظًا وتلاوةً وتدبرًا ودراسةً، بمعنى أن هناك من هو قريب ومن هو بعيد، فالبعيد المقصود منه بُعده عن القرآن، والقريب من هو قريب من القرآن، وكلٌ بحسب حاله، فهناك من هو بعيد كل البعد، وهناك من هو قريب كل القرب، وهناك من هو بعيد ليس بالكثير، وهناك من هو قريب ليس بالكثير..

ثانيًا: على سبيل المثال ما تشير إليه باعتبار المخاطب ممن ليس على ملة الإسلام أو من المقصرين:

١. أسلوب للتقريع والذم، فاسم الاشارة [ذلك] بمعنى أنك بعيد كل البعد عن هذا الكتاب العظيم وعن تعاليمه وعن الإيمان به، كل بحسب حاله وقربه وبعده عن الله جل جلاله.

---

(١) والمرجع على ذلك والدليل من القرآن الكريم وأن هذا كله يجب أن يوضح لهم أولًا ومن ثم يطلق الحكم عليهم بالكفر والردة.

لذلك جاءت الإشارة بذلك[1]إن حقيقة قوله تعالى [ذلك الكتاب] أن فيها إنقاصًا من قدرهم، وفيها رفعةً لكتاب الله في ذات الوقت، فالمخاطب هو من الآيات السابقة، والإشارة إلى ما هو لاحق.

(١) ويجوز أن ينوب اسم الإشارة الدالّ على القُرب عن الدالّ على البُعد وبالعكس فتنوب هذا عن ذلك وذلك عن هذا ، وذلك لما ذكرناه من قصد التعظيم أو التحقير. انظر: معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي (١/ ٩٠)، و(١/ ٩١).

المبحث الرابع

طريق الحق وطريق الباطل

بين سورتي الفاتحة والبقرة

في بداية هذا الكتاب الكريم تؤسس هاتان السورتان العظيمتان ـ وكل القرآن عظيم ـ توضيح طريق الحق وطريق الباطل:

طريق الحق: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴿٧﴾ ﴾.

طريق الباطل: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

كما جاء في سورة الفاتحة.

وفي سورة البقرة...

طريق الحق﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾

طريق الباطل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾

وسياق الآيات من بداية القرآن الكريم فيه توجيه من الله ـ جل وعلا ـ بالدعاء للطريق الصحيح: (اهدنا الصراط المستقيم)، وبعد ذلك تبين لنا ما هو الطريق الصحيح وهو (صراط الذين أنعمت عليهم)، وفي سورة النساء يتضح ما المقصود بالذين أنعمت عليهم بتفاصيل أكثر، إضافة لما ذكر في سورة البقرة من صفات، يقول تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾.

الفصل الثالث
نظرية الرؤية القلبية
في سورة البقرة

المبحث الأول

مدخل إلى موضوع الفصل

تأصيل الرؤية القلبية

بدايةً نتبارك بنقل حديث رسول الله ﷺ ، حتى يكون مراد البحث واضحًا في هذا الشأن، والذي يتجلى فيه الرؤية القلبية بوضوحٍ صريحٍ لا يقبل الجدل.

في حديثٍ طويلٍ سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الإحسان، فقال ﷺ (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1].

الشاهد من الحديث الشريف قوله ﷺ أن تعبد الله كأنك تراه

ومن هنا يأتي السؤال عن ماهية تلك الرؤية، كيف نرى الله عز وجل ؟ هل رؤيته عز وجل بالعين المجردة؟!!

وكيف يكون ذلك؟

لا يمكن تصور أن رؤيته عز وجل وتعالى وتقدس تكون بالعين المجردة بتاتًا، فهذا العضو الجارح لم يصل إلى هذه المرحلة، الضعيف المحدود القدرات، لا ولن يصل ولا يستطيع رؤية مثل هذه الأمور، ولا يستطيع تخيل أي شيء، إلا إذا كان محسوسًا أمامه في عالم الدنيا، ولن يصل لمرحلة رؤية الله عز وجل، فهي مرحلة بحاجة إلى أمرٍ آخر لا تستطيعه الأجزاء العضوية في الإنسان (قلب عقل عين)، لأن

(١) مقطع من حديث طويل، في صحيح مسلم (٣٦/١) حديث رقم [٨] والحديث عند البخاري أيضا.

عالمها لا يسمح بذلك، فهي مادية بحتة، ورؤية الله ﷻ، لا تكون إلا في عالمه ﷻ في الجنة.

وحتى يزداد الأمر وضوحًا، سوف نسرد أقوال العلماء المعاصرين في شرح المقطع السابق من الحديث الصحيح، يقول الشيخ صالح الفوزان يحفظه الله: ولكن تراه بقلبك حتى كأنك تراه بعينيك[١].

ويقول الشيخ ابن عثيمين يرحمه الله: المؤمنون المتقون يرون ربهم سبحانه وتعالى بقلوبهم قبل يوم القيامة[٢].

وحقيقة الإحسان: أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه [٣].

حتى إن الشيخ صالح الفوزان قال في شرحه عن الإحسان: بأن يبلغ بك اليقين والإيمان بالله كأنك تشاهد الله عيانًا، ليس عندك تردد أو أي شك، بل كأن الله أمامك سبحانه وتعالى، تراه عيانًا [٤]، يعني جعل الإحسان ببلوغ اليقين.

الخلاصة: (أن هناك مصطلح يسمى الرؤية القلبية بمعنى أن القلب له رؤية يختص بها).

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للفوزان (ص٢٢٢).

(٢) شرح العقيدة السفارينية (١/٤٨٢).

(٣) العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين لحسين بن غنّام، (ص٥٤).

(٤) شرح الأصول الثلاثة للفوزان (ص ٢٢٢)، قلت يعني اليقين و الإحسان مربوطان ببعضهما.

وما الرؤية القلبية التي فصلنا فيها سابقًا، إلا قسمٌ من أقسامها، والموضوع متشعب، وبقدر كبير جدًّا، لعل صفحات هذا الكتاب لا تسعه، ولكن كانت تلك الفوائد مدخلًا مختصرًا لما نريد الحديث عنه.

المبحث الثاني

شرح مصطلحات الفصل

نظرية(١) (الرؤية(٢) القلبية(٣))(٤) في سورة البقرة.

---

(١) قضيَّة تُثْبَت صحَّتُها بحجَّةٍ ودليل أو برهان، انظر معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٢٣٣/٣).

(٢) رؤية: بالبصر، التعريفات (١٠٩)، وجل كتب التعاريف واللغة المعتبرة يعرف الرؤية بأنها رؤية عين ورؤية قلب، وانظر تاج العروس (١٠٢/٨).

(٣) ونقصد القلب وهو: لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فإن تعلقه به، يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلق المتمكن بالمكان، وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين، إحياء علوم الدين للغزالي (٣ /٣).

(٤) أقصد من الرؤيا القلبية، الشعور الذي يخرج من أعماق الإنسان بإحساس صادق، وكأنه يحذره أو يقوده إلى أمر ما، ذلك الشعور لا يستطيع الوصول له عن طريق تفكيره العقلي، ونظره البصري، وغالبًا ما يدل على أمور غير محسوسة، وهو الشعور الذي لا يعتمد على الاستنتاج العقلي أو الحسي، مثل الإلهام نموذجًا، ويمكن أن يستدل به على حدث مستقبلي، وكيف نخطط للأمور المستقبلية أيضًا، وأمور لا ترى بالعين المجردة، وفي الحديث: (إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم) حسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم (١٦٩٣). ومما جاء في الباب، يقول الملا علي القاري: (الفرق بين الإلهام والفِرَاسَة: أنَّها كشف الأمور الغيبيَّة بواسطة تفَرُّس آثار الصُّور، والإلهام كشفها بلا واسطة). مرقاة المفاتيح:(١/ ٢٨٠).

أما الفراسة الإيمانية، فيقول ابن القيم في (مدارج السالكين ٤٥٣/٢): حقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده، وسببها: نور، (والنور معروف عنه أنه يوضح الرؤية، ويجعل الإنسان يرى في الظلمة) يقذفه الله في قلب عبده، يفرق به بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب. اهـ.

والإلهام والبصيرة كلها تندرج تحت الرؤية القلبية، وهناك فروقات بينهما، وتظهر في تدبر الآيات التي بمعنى الرؤية القلبية، والبصيرة ذكرت مرتان في القرآن الكريم فقط، الرؤية القلبية تعدد ذكرها في أكثر من موطن، وهنا يكمن بعض الفرق، وجل التعاريف تصب بأنها نورٌ يخرج من القلب.

التمهيد لهذا المبحث

لنا في هذا المبحث عدة وقفات:

الوقفة الأولى: أن القرآن الكريم عمومًا[1]،وسورة البقرة خصوصًا، اشتملت على كثيرٍ من الفوائد، والعلوم العامة والخاصة، فكان من الأمور التي اهتمت بها، فقه القلوب ووظائفها، وأنواعها وتفاصيلها، بل وجعل أنواع القلوب مقياسًا لأصناف البشر[2]، والذي هو ركن من أركان الإيمان [3].

وما كان هذا المبحث إلا جزءًا يسيرًا جدًّا، من اهتمام تلك السورة العظيمة بموضوع القلوب.

على سبيل المثال، لو نظرنا إلى الآيات التي في بداية السورة الكريمة، سوف نجدها تتكلم عن أعظم أعمال القلوب، وهو اليقين[4]، يقول تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى

---

(١) انظر الضوء المنير على التفسير (١/ ١٤٣).

(٢) بمعنى قلب مختوم عليه، قلب منافق وكافر، قلب أغبش، قلب عاصي، قلب منير، قلب مؤمن، وهكذا، علمًا أن هذه الأصناف، حتى يقيس الإنسان بها نفسه أولًا.

(٣) الإيمان هو تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق العلامة الألباني يرحمه الله (٣٢٢).

(٤) واليقين أعلى درجات الإيمان (حاشية الكتاب)، القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين يرحمه الله (٢/٧٨).

﴿لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

هذا غير الاهتمام بالقلوب وأنواعها بين طيات السورة الكريمة، فقد جاء في قوله تعالى في آيات كريمات تذكر في طياتها القلوب وأعمالها والحديث عنها:

١. ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ **قلوب مختومة.**

٢. ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠﴾ **قلوب مريضة.**

وكما أنه جاء الاهتمام بالقلب في هذه السورة العظيمة سورة البقرة، فقد ذكر من ضمن هذه الاهتمامات أمور متعلقة بالقلب وأسراره أيضًا، ومن وهذه الأمور الرؤية القلبية.

الوقفة الثانية: أن هناك أمورًا اختص الله بها رسول الله ﷺ مثل موضوع الرؤية القلبية، والتي جاءت في أكثر من آية في القرآن الكريم، منها آيات في سورة البقرة، كما جاء ذلك أيضًا في سورٍ أخرى، وفسرها المفسرون بـ ألم تر بقلبك يا محمد (يعني الرؤية هنا رؤية قلبية).

والله جل وعلا وتقدس كما أنه وهب نبيه الرؤية القلبية –بدلالة الآيات السابقة– كذلك وهب أمته جزءاً يسيراً مما اختص به نبيهم ورسولهم ﷺ [(١)]، وهذا المغزى من الاستشهاد بهذه الآية، إذ إن الأمر توجيه لأمته ﷺ أيضًا.

مثالًا على ذلك:

النبوة التي كلف الله بها نبيه ﷺ ، نجد أنه يقابلها جزء متجزئ لأمته ونصيب منها، والمتمثلة بالرؤيا الصالحة، فهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، في معرفة الأمور الغيبية [(٢)]، وبالطبع وكما هو معلوم الدين بالضرورة، أن هذا لا يدخل فيه الأحكام بتاتًا[(٣)].

---

(١) على سبيل المثال ما قاله ابن عاشور يرحمه الله في تفسيره قوله تعالى سورة الانعام ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا ... ٦﴾ (والرؤية يجوز أن تكون قلبية) التحرير والتنوير (١٣٧/٧).

(٢) عند مسلم (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة) حديث رقم [٢٢٦٣]، ويقول الحافظ ابن حجر يرحمه الله في كلامه عن الاهتمام بالرؤيا: (لما تشتمل عليه من الاطلاع على بعض الغيب وأسرار الكائنات) فتح الباري (٤٣٧/١٢).

(٣) يقول الإمام ابن حزم يرحمه الله في كتابه المحلى: (الشرائع لا تُؤْخَذ بالمنامات) (ص/٦٥٠)، وانظر فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز يرحمه الله، للشويعر (٣٨٥/٢).

وأيضًا هي جزء من الوحي [(١)]، فلعل الأمر في الرؤية القلبية المذكورة في الآيات، في سورة البقرة، تلميح أن أمته لها نصيبٌ من تلك الرؤية القلبية التي وهبها الله لنبيه ﷺ ، كما أن ذلك في الرؤيا الصالحة والتي دلت عليها أحاديث كثيرة، أنها جزء من النبوة، وحديث: (لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة) [(٢)] يبين ذلك.

فسميت نبوة، مع أن من يراها هو من أمته ﷺ في الأغلب [(٣)].

وأن من أقسام الخطاب في القرآن الكريم [(٤)]، ما هو لنبيه ﷺ ، ومنها ما هو لأمته عليه السلام ، والآية التي تذكر بين جنبيها موضوع الرؤية القلبية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ

---

(١) يقول الإمام القرطبي يرحمه الله في موضوع الرؤيا: (المسلم الصادق الصالح هو الذي يناسب حاله حال الأنبياء، فأُكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء، وهو الاطلاع على الغيب... الخ، فتح الباري (١٢/٣٦٢).

(٢) صحيح البخاري (٩/٣١) حديث رقم [٦٩٩٠].

(٣) ومن رآها وهو غير مؤمن، فهي تزكية للرؤى وليس للرائي، وهي أيضًا، أن رحمة الله تعم الجميع فمن الممكن أن يراها.

(٤) نقل كلام ابن الجوزي يرحمه الله من كتابه (النفيس) أكثر من ثلاثين نوع، ومنها خطاب الله لرسوله ﷺ ، النفيس كتاب مفقود، ولكن نقل عنه السيوطي يرحمه الله في الإتقان فهو المرجع (٣/١٠٩)، وانظر تفسير جزء عمّ، للعلامة ابن عثيمين يرحمه الله (ص ١٥٦).

﴿ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٤٦ ﴾ واضحٌ فيها، أن السياق، سياق له ولأمته ﷺ ، ويتأكد هذا إذا نظرنا للآيات السابقة واللاحقة، ويتأكد أكثر أن السرد فيه قصص من الماضي الذي حدث، ولم يشهدها رسول الله ﷺ، وكم هي كثيرة تلك القصص التي لم يعِشها الرسول ﷺ زمنيًّا، ولكنه عاشها وجدانيًّا، يقول الرازي: إنه تعالى وتقدس يذكر بعد بيان الأحكام القصص ليفيد الاعتبار للسامع، ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد، ومزيد الخضوع والانقياد فقال: (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم) [١]، مثال آخر، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ١ ﴾[٢]، فالخطاب عام مع الكل على وجهٍ يدخل فيه النبي ﷺ وغيره من الأمة، وتخصيص النبي ﷺ في أول الآية بالنداء جرى مجرى التشريف والتكريم له[٣].

ويقول الرازي: (هذا الكلام ظاهره خطاب مع النبي ﷺ إلا أنه لا يبعد أن يكون المراد هو وأمته، إلا أنه وقع الابتداء بالخطاب معه، كقوله تعالى: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن

---

(١) مفاتيح الغيب (٦ / ٤٩٥)، وانظر تفسير النيسابوري (١/٦٦٠).

(٢) سورة الطلاق.

(٣) الأحكام للآمدي (٢/٢٦٢).

لعدتهن)[1]، وهذا مثال فقط، وإلا فالموضوع له كتبه المتخصصة.

الوقفة الثالثة: أن سورة البقرة ذكرت أنواع الرؤية القلبية بين طياتها، ومنها الرؤى المنامية، وهذا في قوله تعالى:﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ يستحيي نساءكم، ما هو سبب هذا الفعل؟ هو بسبب رؤيا رآها فرعون، ذُكرت في كتب التاريخ.

ذكر السدي عن أبي صالح وأبي مالك، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن أناسٍ من الصحابة رضي الله عنهم : أن فرعون رأى في منامه، كأن نارًا قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دور مصر، وجميع القبط، ولم تضر بني إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة والحزأة والسحرة وسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء، يكون سبب هلاك

(١) مفاتيح الغيب (٦ / ٤٩٥)، وانظر تفسير الشيخ ابن عثيمين يرحمه الله لسورة البقرة (٢٠٥/٣) ، وانظر أيضًا تفسيره جزء عمّ (٢١٩).

أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان. انتهى كلامه[1].

ومن الرؤية القلبية أيضًا الاستخارة، فهي من النفل، وقد جاء ذكرها متضمنًا في قوله تعالى: (يقيمون الصلاة)، يقول الإمام ابن عاشور: (أي الذين يقيمون الصلوات الخمس المفروضة ويتقربون بالنوافل)، والاستخارة من النوافل[2]، وهي من أدوات الرؤية القلبية، وبذلك يتضح أن سورة البقرة، اشتملت على أنواع من الرؤية القلبية.

الوقفة الرابعة: أن الرؤية القلبية تحتاج إلى درجة كبيرة من الإيمان، لذلك جاء ذكر المتقين في بداية سورة البقرة، والتقوى من الأعمال القلبية.

الوقفة الخامسة: أن الأعمال تقسم إلى أعمال قلوب، وأعمال جوارح، ويقاس ذلك أيضًا، على أقسام الرؤية، فهي رؤية قلبية، ورؤية جوارح بالعين المجردة.

---

(١) تفسير البغوي (٩١/١)، ومضة، وهذا تبعات سؤال من لا يفقه في تفسير الأحلام، يجعلون الرؤيا حلم، والحلم رؤيا ويخلطون بين الأمور.

(٢) التحرير والتنوير (٢٤٠/٦).

أهمية الرؤية القلبية

فمن وفق للرؤية القلبية كانت له نظرة ثاقبة في الأمور، وأتى بما لم يأتِ به غيره، فهي توجه المرء لما يفعله في أحداث الحياة المحيرة، والتي ليس له اطّلاع عليها ولا يعرف مستقبلها، وهذا ما لا تستطيعه الرؤية المجردة.

فمثلا: صلاة الاستخارة تعطيك تنبؤاً بما تختاره؛ ولذلك ربطها بعض العلماء بالرؤيا الصالحة، فقد ترى رؤيا تقودك إلى الطريق الصحيح، علمًا أن ذلك ليس شرطًا، وآخرين ربطوها بالارتياح القلبي الذي يهديك إلى السبيل الواضح، وكما نلاحظ، كلها معلقة بالقلب وليس العقل[1].

فهذا مختصر الاستخارة، أنها رؤية قلبية يسخرها الله لك؛ ولأن الأمور المستقبلية من الصعب استقرائها واستحالة معرفتها، كانت هناك أمور تعيننا في ذلك، حتى نجتاز الكثير من العقبات.

كانت هذه مقدمة موجزة في مباحث هذا الفصل، ونبدأ بصلب الموضوع.

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣/ ١٤٣٠)، يقول رسول الله ﷺ (استفت قلبك) مسند الإمام أحمد للأرناؤوط، إشارة إلى القلب لا العقل .

كنت أود أن أقف على جميع الآيات التي ذكرت الرؤية القلبية في سورة البقرة، وباقي سور القرآن الكريم بإسهاب وشرح مفصل، وأربطها مع بعضها البعض، فالأمر يحتاج والله، ولكن وجدت أن هذا من الصعوبة بمكان، وآثرت أن تكون الدراسة توضيحًا لِمَا أريد الحديث عنه، ومُوصِلَة للفكرة العامة للموضوع، فاكتفيت بما قيدت، على أمل أن يكون هناك تفصيل أكثر، بمؤلفات أخرى بإذن الله، فالحمل ثقيل ومتشعب، ولن يكفيه كتاب واحد.

لماذا ندرس هذه الآيات؟

بما أن بدايتها كانت تتكلم عن رؤية قلبية (ألم تر)، هذا يعني أن فيها فوائد لصيقة بالرؤية القلبية، فعلينا الاجتهاد في استنباطها بقدر المستطاع؛ لأهميتها، ولدراسة القرآن أسرار وتوجيهات دقيقة، يحظى بها من تدبرها، ويرزقه الله من نفحاتها، تريد الرزق تدبر آيات الرزق، تريد الصبر تدبر آيات الصبر، تريد رؤية قلبية، تدبر آيات الرؤية القلبية، وهكذا.

تكرر قوله تعالى في سورة البقرة ألم تر...
في أربع مواطن، وكلها كان المقصود منها
الرؤية القلبية.

المبحث الثالث

وقفات مع آيات الرؤية القلبية

في سورة البقرة

المطلب الأول الموطن الأول:

قوله تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣ ﴾

يفسر الإمام الطبري يرحمه الله ألم تر بقوله: ألم تعلم يا محمد، وهو من رؤية القلب لا رؤية العين؛ لأن نبينا محمدًا ﷺ لم يدرك الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر، ورؤية القلب: ما رآه وعلمه به، فمعنى ذلك: ألم تعلم يا محمد الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف[١].

ويفسره أيضًا الإمام القرطبي[٢] بنفس تفسير الإمام الطبري عليهم رحمة الله جميعًا.

تعددت الروايات التي تحكي قصة هذه الآية الكريمة، ومنها ما أورده الإمام البغوي –يرحمه الله–

(١) تفسير الطبري عالم الكتب (٤ / ٤١٣).

(٢) القرطبي مؤسسة الرسالة، هذه رؤية القلب بمعنى ألم تعلم (٤/ ٢٠٩).

في تفسيره [1]. والعجيب أن الله ﷻ ذكر أن عددهم كبير كناية على كثرتهم، ما يوحي بعظم الأمر.

من الدروس المستفادة لنبينا وسيدنا محمد ﷺ ولأمته من هذه الآية:

١. كيف أن الله يرسل على يد أنبيائه المعجزات، فكما أن لهم معجزات، أيضًا كان لك من المعجزات ، ولكل زمن معجزات تناسب حال زمانهم، لذلك جاء قوله تعالى في الآية رقم ٢٥٣ من سورة البقرة: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾، **وأن الله تعالى هو من بيده الحياة والموت، بيده كل شيء، وكل شيء عليه هين، وكيف أن الأنبياء رحماء بقومهم.**

---

(١) قال أكثر أهل التفسير: كانت قرية يقال لها: داوردان قبل واسط بها وقع الطاعون، فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة، فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا، لو صنعنا كما صنعوا لبقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها، فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها، وخرجوا حتى نزلوا واديًا أفيح، فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن موتوا، فماتوا جميعًا (١/٢٩٢).

٢. هؤلاء القوم أماتهم الله ثم أحياهم؛ ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه(١)، فليفعل الإنسان ما بوسعه ولا يعترض على أقدار الله، ولا يخشى شيئاً إلا الله، وأن أمور الابتلاء يجب أن تكون بالتسليم والرضا، فقد تم الأمر، لا نقول لو ولو، فقد نهينا عن ذلك(٢)، ومنها أيضًا لا تكونوا مع نبيكم كما كان هؤلاء الذين من قبلكم مع نبيهم فعصوه.

قياس ذلك على الرؤية القلبية

إن الاستعداد لأمور المستقبل يلزمه الرؤية القلبية، وكذلك الاتعاظ من قصص الأولين يلزمه الرؤية القلبية أيضًا، ولا يكفي قراءة الأخبار الماضية في كتاب الله عينًا وعقلًا فقط، فهذه الوقفات تحتاج إلى تقوى الله في التعامل معها.

وهنا سؤال: لماذا كان تفسير ألم تر بمعنى الرؤية القلبية؟

---

(١) الكشاف (١/٢٩٠).

(٢) (المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) صحيح مسلم [٢٦٦٤] (٤/٢٠٥٢).

لأن هذا فيه دلالة على أن الرؤية القلبية لا بد منها؛ لذلك جاءت الآيات السابقة بتلك الصيغة لا بغيرها.

وفي ذلك دلالة على أن هذه الآيات تحتاج زيادة في التمعن، واستنباط العبر التي لا تبنى على التفكير بالعقل.

وسؤال آخر، لماذا المثل كان لبني إسرائيل دون غيرهم؟ لعل ذلك لأننا سوف نتعامل معهم، وحتى نعرف طبائعهم أيضًا، وأن التعامل معهم من الرؤية القلبية، والتي هي من الضرورة بمكان، وسنجد ذلك كثيرًا في السنة النبوية، فقد مات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي[1]، والحديث له إسهاب في شرحه ليس هذا محله.

(١) (نص الحديث توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعًا من شعير) البخاري، (٤/٤١) [٢٩١٦]. وانظر أيضًا عند البخاري بَاب الْمُزَارَعَةِ مع الْيَهُودِ، وللشيخ ابن باز -يرحمه الله- شرحًا وافيًا في هذه المسائل، فأفاد وأجاد -يرحمه الله- يُرجع إلى فتاواه.

انظر الخرائط الذهنية في آخر الكتاب (ص ١٥٠)، الرؤية القلبية والتعامل مع اليهود بالرؤية القلبية.

المطلب الثاني الموطن الثاني: أيضاً في بني إسرائيل وجاءت في موضع آخر بعد الموضع الأول بـآيتين.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

عند الإمام الطبري، ألم ترَ يا محمد بقلبك [١].

هذا المقطع من السورة الكريمة، مكون من ست آيات، وفيه من الفوائد الشيء الكثير.

لهذه الآية حكاية في الحقبة التي بعد موسى في عصر داود – عليهما السلام– [٢]:

الآية فيها دلالات واضحة، أن هؤلاء لا يصلح معهم التعامل بالرؤية العينية، والشعور الحسي، لا ينفع معهم، يجب أن يكون

---

(١) الطبري دار عالم الكتب (٤/٤٣٥).

(٢) الوسيط للزحيلي (١/١٣٩)، وقيل هو شمويل التحرير والتنوير (٢/٤٨٥). وذكر ابن كثير أنه هو يوشع بن نون تفسيره (١/٦٦٤)، وكان بين موسى وداوود –عليهما السلام– أكثر من ألف سنة، تفسير ابن كثير (١/٦٦٥).

هناك شعور قلبي، مثالًا على ذلك، أننا لو حكمنا بالتفكير بالعقل، لعلنا لا نأكل حتى طعامهم، ولكن الشرع حلل ذلك، وهناك الأمور بيننا وبينهم، فيها نقاط مشتركة.

١. الدرس المستفاد لنبينا وسيدنا محمد ﷺ من هاتين الآيتين: أنه ما دام أن الخبر فيه من بعد موسى، وهو زمن داوود –عليهم السلام–[1]، لعل منها إخباره عليه السلام بما سوف يكون لأصحابه من بعده، بتغيير وتأثير الدنيا عليهم، كما تغير قوم موسى عليه السلام من بعده، فالرؤية القلبية المستقبلية تحتاج إلى معرفة تاريخية في الماضي أيضًا، ولعله فيها كيف أن كل الأنبياء عانوا من قومهم، وأيضًا الاستعانة على الرؤية القلبية وقت الشدائد، فمناسبة الآيات أنهم كانوا في شدائد، وكذلك هي تسلية، وقصص ليثبت الله قلبه ولا يحزن.

ومن أمثلة الرؤية القلبية في نفس الآية السابقة، قوله تعالى:

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ﴾

فنبيهم تنبأ بحدث مستقبلي، وهو أنهم سيخلفون وعدهم ولن يقاتلوا، وفعلاً هذا ما حدث.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾**، وهذا من دلالات الرؤية القلبية.**

(١) الوسيط للزحيلي (١٣٩/١).

ما تحتمله أو تظنه، يقع بتفاصيل دقيقة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومثالًا على العمى القلبي، وهو عكس الرؤية القلبية، في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

العمى القلبي عندهم، أوصلهم لمرحلة عصيان نبيهم، بل ولا يعجبهم كلامه، وهذا كله لأن قلوبهم عميت، فلا يرون الحق، ونلاحظ أنهم بدؤوا ينتقدونه، ويزعمون أنهم هم أفضل منه، وليس لهم نظرة إلا النظرة المادية البحتة، والتي تكون من عمى القلب، وتجلب عمى القلب أيضًا(١).

نتيجة الرؤية القلبية واستعمالها:

ولا شك أن من يهبه الله الرؤية القلبية، ويعتمد عليها، سوف يصل إلى ما يريد، بتوفيقٍ وسدادٍ وفضل من الله؛ لذلك كانت

---

(١) انظر (ص ١٥١) الخرائط الذهنية، الرؤية القلبية والعمى القلبي.

آخر آية في مقطع السياق، ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1] والآيات مليئة بالعظات والعبر في الرؤية القلبية، ولكن حتى نستطيع أن نقف مع الآية الأخيرة، نكتفي بما ذكرنا.

---

(١) سورة البقرة : **٢٥١**

المطلب الثالث الموطن الثالث:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾

الطبري(١)، ألم ترَ يا محمد بقلبك الذي حاج إبراهيم(٢)، هذه هي الآية الوحيدة التي خرجت عن سياق بني إسرائيل في سورة البقرة بلفظ (ألم ترَ)، وكان المقصود فيها النمرود، في زمن إبراهيم عليه السلام قبل موسى عليه السلام بعقود.

وفي الآية مثالين، أحدهما عن العمى القلبي الذي يملأ قلب النمرود ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ ﴾ **ضل وظن أنه إله؛ لأن قلبه مظلم ليس فيه نور.**

---

(١) تفسير الطبري (٤/٥٦٧).

(٢) وهو النمرود ابن كوش ابن كنعان ابن سام ابن نوح ملك زمانه وَصَاحِبُ النَّارِ وَالْبَعُوضَةِ! هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالرَّبِيعِ وَالسُّدِّيِّ وَابْنِ إِسْحَاقَ وَزَيْدِ ابن أَسْلَمَ وَغَيْرِهِمْ. تفسير الطبري (٤/٥٦٨). وانظر القرطبي (٣/٢٨٤)

وأما إبراهيم ﷺ الذي يملأ قلبه النور، قال له﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ أتى بحجة وسؤال لا يستطيع النمرود الإجابة عليه

النتيجة ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾ .

وهناك موطن رابع في الآية التي تليها[1]

في قوله تعالى﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾، وفيها من الفوائد الكثير أيضًا.

وبعد سرد آيات الرؤية القلبية، وتتبع سياقها، نجد أنه ما زال موضوع الآيات، يتحدث عنها، فجاءت قبل موقف إبراهيم ﷺ مع النمرود، وفي منتصف سياق آيات الرؤية القلبية في سورة البقرة، يقول الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧ ﴾ الآية الكريمة،

---

(١) ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ، كأنه قيل: أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية، الكشاف (٣٠٦/١)، بمعنى أن، ألم تر في بداية الآية ٢٥٨ تشمل القصتين بمعنى، ألم تر الذي مر على قرية أيضًا، فيكون هذا الموضع الرابع في سورة البقرة والذي كان بأسلوب ألم تر.

تتحدث عن النور الذي يهبه الله للمؤمنين، ولا شك أن هذا النور ليس النور الذي تضاء به أماكن الجمادات، ولكنه النور الذي ينبع من قلب المؤمن ليرى ما حوله بوضوح.

أما عن الذين كفروا ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ عمى قلبي واضح بيِّن، فكيف يرون في الظلمات التي تقف حاجزًا أمام الإبصار.

الظلمات: الضلالة، والنور: الهدى، قاله مجاهد، وقتادة. وقول آخر أن الظلمات: الشك، والنور: اليقين،[1].

إذًا هناك علاقة بين النور والرؤية القلبية، لعلنا نقول إن الرؤية القلبية، هي الاهتداء للهدى؛ لذلك جاء في بداية وفواتح البقرة هدى للمتقين، أولئك على هدى من ربهم، يعني يهتدون بهدي ربهم الذي دلهم عليه سبحانه.

وجاء أيضًا في بداية السورة الكريمة، ولا يفصلها عن مقدمة السورة إلا آيات معدودة، قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

(١) تفسير زاد المسير (١/ ٢٣٢).

لاحظ مدار الحديث، يدول حول النور الذي هو سبب الرؤية القلبية، المسألة هنا: أضاءت ما حولهم (نور يرون به) ذهب الله بنورهم (لا يرون).

وقبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾ تكملة لسياق أن القلب إذا ختم عليه، فهو لا يرى النور (غشاوة).

ومن الفوائد المناسب ذكرها، أنه حتى في هذا الموضوع، هناك رابط ومناسبة بين سورة الفاتحة وسورة البقرة.

يقول الإمام ابن القيم في سورة الفاتحة: ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ منزلة الفراسة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ ﴾[1]، قال مجاهد ـرحمه اللهـ: المتفرسين، إلى أن قال: وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠﴾[2]، وهذا له رابط عجيب بين الفاتحة والبقرة، حيث إن سورة البقرة تتحدث عن الرؤية القلبية، امتدادًا لسورة

(١) سورة الحجر.

(٢) سورة محمد.

الفاتحة، فقد تحدث ابن القيم عن الفراسة، والتي هي شيء يسير من الرؤية القلبية.

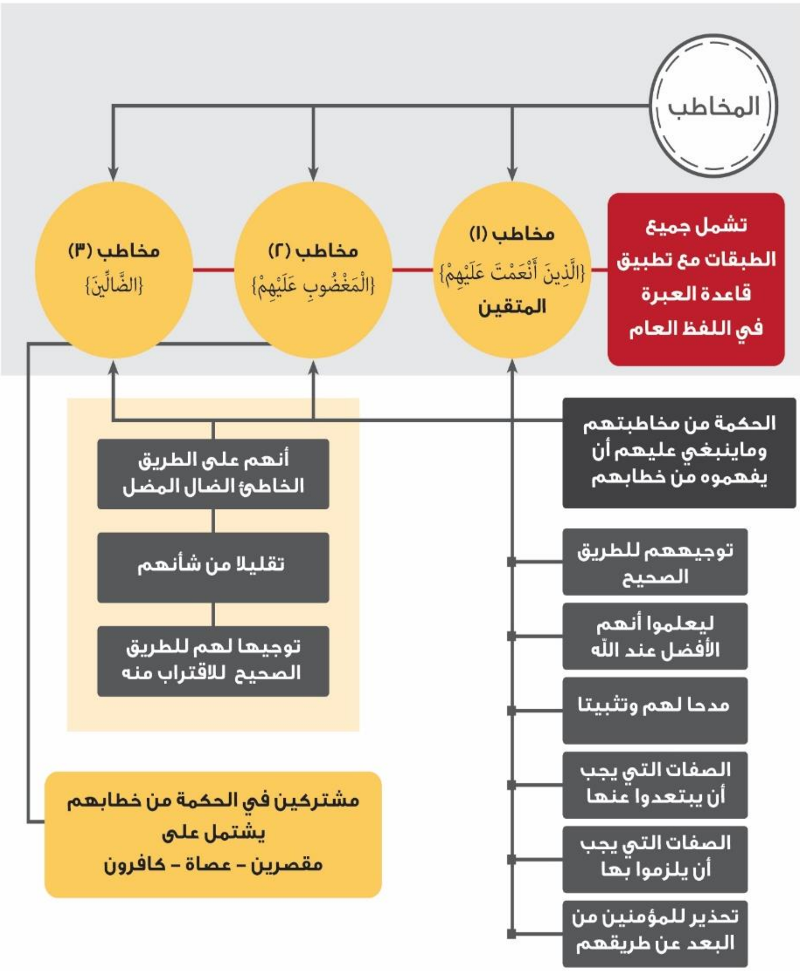
ومضـــة:

ولا يزال موضوع الرؤية القلبية يحتاج لمزيد من البحث والتبصرة، في كثير من أموره، فما هيَ ميزات الرؤية القلبية؟ وكيف نستحضرها؟ وما هي أدواتها؟ وأمور كثيرة عنها، ولكن هذا كله فوق طاقة هذا الكتاب، والأمر يحتاج إلى رسائل، وحسبي أني وضعت بعض النقاط على الحروف، وبإذن الله يكون هناك مؤلف خاص لهذا الموضوع، يسر الله إخراجه، فنسأل الله البركة والتوفيق.

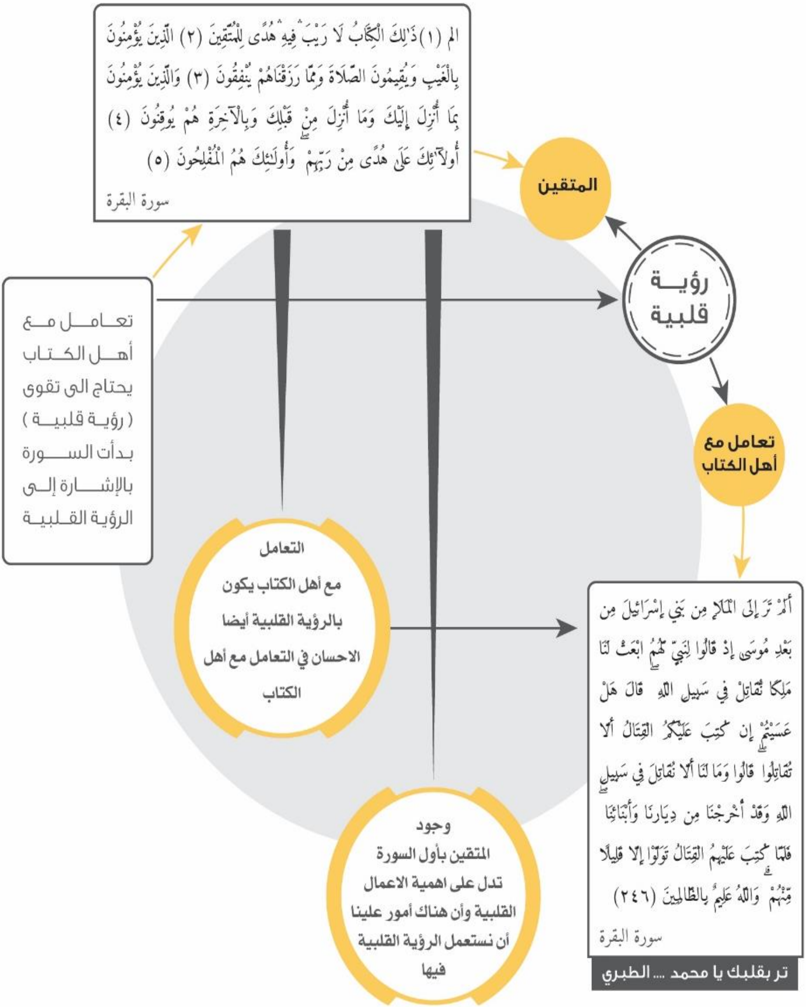
الخرائط الذهنية

نموذج (١)

المخاطب في نهاية سورة الفاتحة ومقدمة سورة البقرة



نموذج (٢)


الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)
أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)
سورة البقرة
المتقين
رؤيــة قلبية
تعامل مع أهل الكتاب
تعـامــل مـــع أهـــل الكـتـاب يحتاج الى تقوى (رؤيــة قلبيـــة) بـدأت الســـورة بالإشـــارة إلـى الرؤيـة القـلبيـة
التعامل مع أهل الكتاب يكون بالرؤية القلبية أيضا الاحسان في التعامل مع أهل الكتاب
وجود المتقين بأول السورة تدل على اهمية الاعمال القلبية وأن هناك أمور علينا أن نستعمل الرؤية القلبية فيها
أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن
بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا
مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ
عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا
تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا
فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)
سورة البقرة
تر بقلبك يا محمد .... الطبري

نموذج (٣)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)

سورة البقرة

هذه الآية الكريمة إشتملت على الرؤية القلبية

رؤية قلبية

هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا

الرؤية القلبية

قوة مع الله

يقين

رؤية ثاقبة

هذه الآية الكريمة إشتملت على العمى القلبي عياذا بالله

عمى قلبي

تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ

العمى القلبي

عصيان

تكذيب

تكبّر

غرور

الرؤية القلبية

مِن عِلْيَة القوم : أنبياء ، صحابة ومن على نهجهم

العمى القلبي

في أدنى القوم : فساق ، منافقين كفار ، ومن على نهجهم

الخــــاتمة

إن أول ما نص عليه القرآن الكريم هو حمده تعالى وتقدس قال سبحانه في سورة الفاتحة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾

فنختم بحمد الله الذي له المحامد كلها، فحمدًا لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يليق بوجهه الكريم وعظيم سلطانه.

كانت هذه الكلمات والفوائد، ما قيدته وأنا أقرأ وأتدبر كتاب الله العظيم، وكنت أسجلها من سنوات، وأحببت أن أخرجها تباعًا(١)، لتعم الفائدة ويستفيد الجميع، وأسأله تعالى أن تكون لنا أجرًا ومغنمًا.

وكون هذه الدراسة من بشر ضعيف، فهي عرضة للنقص والتقصير، فنسأل الله التوفيق والسداد، فإن أصبت فبفضل من الله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان (نستعيذ بالله منه)، والمجتهد مأجور.

وهذا موجز لبعض الآيات فقط، اشتملت على البسملة وأواخر سورة الفاتحة وآيات من سورة البقرة، فكيف إذا توسعنا أكثر؟! وكيف إذا وقفنا مع باقي آيات القرآن الكريم؟!

---

(١) هذا الجزء الأول فقط، وأسأله تعالى أن ييسر لي نشر الباقي.

إن هذه الدراسة هي بداية لنظرة عميقة، لعل الله يسخر لها من هو أفضل مني، ويبحثها وينشرها.

ويعلم الله كم هو الحزن الذي ينتاب الإنسان وهو يراجع كتاب الله، فلا يستطيع إكمال تفسيرٍ، أو حفظٍ، أو مراجعةً بسبب كثرة الأشغال، وهذا حالنا مع الدنيا، نسأل الله البركة والتوفيق .

كيف لا وهو علم الله، نقل ابن كثير في تفسيره عن أبي عبدالرحمن السلمي –يرحمه الله– أنه إذا ختم عنده أحد القرآن كان يقول له: قد أخذت علم الله، فليس أحدٌ اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم يقرأ:[1]

﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾

وندعوه تعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٧٦/٢)، (سورة النساء : ١٦٦).

ثبت المصادر والمراجع

١ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٣٩٤هـ
٢ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ
٣ الأحكام للآمدي أبو الحسن سيد الدين الثعلبي الآمدي تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي.
٤ احياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة
٥ الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي حققه عبد الله بن محمد الحاشدي مكتبة السوادي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ
٦ الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١١هـ
٧ الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ
٨ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، كمال الدين الأنباري المكتبة العصرية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ
٩ البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق يوسف عبدالرحمن المرعشي وآخرون، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ
١٠ تأملات في رؤيا يوسف عليه السلام ، أحمد عبدالعزيز قشوع، المملكة العربية السعودية، جدة الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ
١١ تخريج العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بالطحاوي شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ
١٢ تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
١٣ تفسير البيضاوي، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ
١٤ تفسير الشيخ ابن عثيمين يرحمه الله جزء عم، ابن الجوزية ،الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ
١٥ تفسير الشيخ ابن عثيمين يرحمه الله سورة البقرة ، ابن الجوزية الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ
١٦ تفسير الضوء المنير، علي الصالحي، مؤسسة النور

١٧ تفسير الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق، د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٨ تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تحقيق ،سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ

١٩ تفسير القرطبي مؤسسة الرسالة

٢٠ تفسير زاد المسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ

٢١ التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي مكتبة وهبة، القاهرة

٢٢ حاشية الصبان على الأشموني، محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م

٢٣ الحيوان للجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ

٢٤ الرسالة الكبرى في البسملة، محمد علي الصبان، تحقيق حبيب يحي المير، دار الكتاب العربي ١٤٢٨هـ

٢٥ السلسلة الصحيحة للعلامة ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض طبعة ١٤١٥هـ

٢٦ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، المحقق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨م

٢٧ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى

٢٨ صحيح الجامع الصغير وزياداته، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي

٢٩ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٣٠ فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، محمد فؤاد عبد الباقي محب الدين الخطيب، تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٣١ القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة/مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ

٣٢ القول المفيد شرح كتاب التوحيد، للعلامة محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ

٣٣ كتاب البسملة، لأبي محمد عبدالرحمن الدمشقي تحقيق د. عدنان عبدالرزاق الحموي أبي شامة ، المجمع الثقافي أبوظبي
٣٤ الكتاب المقدس، طبعة دار الكتاب المقدس بمصر
٣٥ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ
٣٦ مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ
٣٧ مجلة مجمع الفقه الإسلامي
٣٨ مجموع فتاوى الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار أصداء المجتمع الطبعة الثانية ١٤٢١هـ
٣٩ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا الطبعة الأخيرة ١٤١٣ هـ
٤٠ المجموع، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر
٤١ المحلى بالآثار، أبو محمد علي الظاهري، دار الفكر
٤٢ مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ
٤٣ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية تحقيق، محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ
٤٤ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي الملا الهروي القاري، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
٤٥ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ١٤٢٥هـ
٤٦ مصحف المدينة النبوية ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
٤٧ معاني النحو، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
٤٨ مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ
٤٩ المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبع مؤسسة الأهرام الطبعة الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ
٥٠ الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت الطبعة١٤٢٧ هـ

٥١ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للعلامة برهان الدين البقاعي، المتوفي ٨٨٥، دار الكتب العلمية

٥٢ النهج الأسمى، محمد الحمود النجدي مكتبة الإمام الذهبي الطبعة الثانية ١٤٢١هـ

٥٣ الوسيط الرحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ

٥٤ خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلّمها أصحابه، للعلامة الشيخ أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

٥٥ شرح الاصول الثلاثة، للعلامة صالح فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة

٥٦ صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ

فهرس موضوعات الكتاب



رقم الإيداع: ١٤٤٠/٨١٤٦
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٠٦٧٩-٤